مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٩٢٦ - ٩٨٧ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

الجمل الشرطية التي ارتبط جوابها بأثر يعود على النفس الإنسانية

دراسة تحليلية قرآنية

الأستاذ الدكتور جهاد النصيرات

الأردن – عمان – الجامعة الأردنية – كلية الشريعة – قسم التفسير .

الدكتورة ريما مُحَمَّد سليمان بني دومي

الأردن – عمان – الجامعة الأردنية – كلية الشريعة – قسم التفسير – محاضرة غير متفرغة .

ملخص البحث. لقد تناول هذا البحث قضية ذات صلة بإعجاز القرآن وبيانه، وهي دراسة دلالة الجمل الشرطية التي ارتبط جوابها بالنفس الإنسانية بأثر إيجابي أو سلبي، وذلك من خلال تتبّع هذه الآيات وتتبّع آراء بعض المفسرين فيها ، ثمّ استنباط دلالات هذا الارتباط وغاياته ، لمعرفة بعض أسرار اقتران الجواب في هذه الجمل الشرطية بالنفس للوصول إلى استنباط عبره وهداياته . فجاء هذا البحث في مبحثين؛ المبحث الأول جاء فيه الجمل الشرطية التي ارتبط جوابها بأثر إيجابي يقع على النفس ، وجاء فيه ثلاثة مطالب ؛ كل مطلب فيه عبارة عن آية. ثمّ جاء المبحث الثاني متناولاً الجمل الشرطية المرتبطة بالنفس الإنسانية التي جمعت في جوابها بين الأثر الإيجابي والأثر السلبي ، وتكوّن هذا المبحث من سبعة مطالب.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٩٢٦ – ٩٨٧ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

المقدمة:

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه أن منّ علينا بآيات بيّنات واضحات بين دفّتي كتابه المجيد تؤول بالحيران التائه إلى الاختيار الرشيد، كما تلهم قاصد الحق الرأي السديد. ويبقى هذا الكتاب ورد الأمة وموردها الذي لا تنضبُ معانيه الفوّارة بالحق المنظومة في عقد فريد .

ومن منّة الله علينا أن أنعم علينا بدراسة بعض آيات كتابه الكريم، التي تتعلق بالجمل الشرطية التي ارتبط جوابها بأثر إيجابي أو سلبي يقع على النفس، متتبعين هذه الجمل المتناثرة، باحثين في دلالاتها ومقاصدها ومعاني حروفها وصيغ ألفاظها وتغاير أزمان أفعالها، وعلل ارتباطها بالنفس إيجاباً أو سلباً، محاولين الوصول إلى نتائج تجمع هذه الجمل المتناثرة في بوتقة واحدة من العلل والغايات والمقاصد. سائلين الله أن يلهمنا حسن النظر وحسن المقصد وصواب الرأي وسداد الطريق.

مشكلة البحث:

يلحظ القارئ للقران الكريم أن هناك ذكراً كثيراً للجمل الشرطية في القران الكريم لما يترتّب على الجمل الشرطية من ربط للأسباب بالنتائج من خلال فعل الشرط وجوابه، وخاصة في الأحكام الشرعية. والذي يلفت الانتباه أنّ بعض هذه الآيات التي ظهر فيها فعل الشرط وجوابه كانت تتعلق بالنفس، جعل القرآن وبالها ونعيمها يعود على النفس، فمن هنا نشأت أسئلة الدراسة:

١ــما المعاني والدلالات التي تتولّد من ارتباط جواب الشرط بأثر يعود على النفس إيجابياً وسلبياً؟

٢ــ ما أهمية ارتباط جواب الشرط بهذه الآثار العائدة على النفس من حيث الحث على الفعل أو تركه؟

٣ــ ما سمات الآثار الإيجابية والسلبية الواردة في الآيات الكريمة؟

٤ــ ما الأساليب المشتركة بين الآيات في الربط بين الفعل وأثره على النفس؟

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٩٢٦ - ٩٨٧ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى :

١- بيان المعاني والدلالات التي تتولد من ارتباط الجمل الشرطية بهذه الآثار العائدة على النفس سلباً أو إيجاباً.
٢- بيان أثر هذا الارتباط على دافعية النفس الإنسانية تجاه هذا الفعل.
٣- بيان الأساليب واللطائف اللغوية في هذه الآيات.

أهمية البحث :

وتكمن أهمية البحث في الأمور الآتية :

١. من كونها تتعلّق بالقرآن الكريم ،.
٢. كما أنها تحاول الكشف عن بعض أسرار إعجازه البياني واللغوي حيث ترفد هذه الدراسة طلبة الدراسات اللغوية و التفسيرية ومن يعتنون بالجانب البلاغي للقرآن الكريم.
٣. كما أنها تكشف عن أسلوب القرآن الكريم في تربية النفس الإنسانية على القيم الدينية والإنسانية التي تضمنتها الآيات من خلال هذه الجمل الشرطية ومن خلال أشكال الجزاء الذي رتبته هذه الجمل على النفس إيجاباً وسلباً.

منهجية البحث :-

تعتمد الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي من خلال النظر في الآيات وفي أقوال المفسرين حولها، وملاحظة دقائق الأسلوب الشرطي الذي جاءت عليه الآيات، وتسجيل الملامح المشتركة بينها، وتحليل كل ذلك للوصول إلى الأهداف المرجوّة من الدراسة.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٩٢٦ - ٩٨٧ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

الدراسات السابقة :

أ- الدراسات التي تناولت الجمل الشرطية في القران الكريم

ومنها: ١- تحليل جملة الشرط وبيان أثرها على المعنى التفسيري- دراسة تطبيقية على السور من الأحقاف إلى الصف، رسالة ماجستير، للطالب: مُحَمَّد عبد المجيد قفة، إشراف د.عبد السلام حمدان اللوح ، ال،٢٠١٧م الجامعة الإسلامية- غزة. وهي دراسة تهدف إلى تحليل جمل الشرط الواردة في الآيات ، وبيان أثرها على المعنى التفسيري. لكنها دراسة جزئية ، تتناول جزءا يسيرا من سور القرآن، كما أنها لا تُعنى ببيان الجمل الشرطية المرتبط جوابها بأثر على النفس.

٢- العدول ودلالاته في أسلوب الشرط -دراسة أسلوبية في القرآن الكريم-،إعداد الطالب: الأخضر سعداني ،إشراف الأستاذين: د. خضر بلخير ود. مُحَمَّد وجيه أوزون، جامعة الحاج الخضر، الجزائر، ٢٠١٦م.، وقد عنيت الرسالة ببيان الدلالات البلاغية في التركيب الشرطي من حيث الحذف، والزيادة ، وتفسير ارتباط الجواب بالشرط، ودلالات وقوع جواب الشرط جملة اسمية أو فعلية . وهو جزء تُعنى به هذه الدراسة من حيث تركيب جملة الشرط، لكنها لا تعنى بأثر ذلك على نفس، كما لا تعنى بالدلالة الموضوعية للآيات الواردة على هيئة جمل شرطية .

٣- نظام الارتباط في أسلوب الشرط وأفق الدلالة النحوية نماذج في القرآن الكريم، إعداد الطالبتين : آسيا بن خلاط، ومهنية بزوخ، إشراف د.أبو بكر زروقي، جامعة عبد الرحمن ميرة،٢٠١٧م. وقد تميزت هذه الدراسة بتحليل الجمل الشرطية في القرآن الكريم، وتحليل الربط بين جملة الشرط وجوابه ، وهو ما أفاد منه هذا البحث بصورة جزئية ، لكنها لم تعنى ببيان دلالة المتعلق منها بالنفس إيجاباً أو سلباً .

ب - الدراسات التي ربطت الجزاء بالنفس في سياق جمل شرطية ، لكن لم يجد الباحثان مثل هذه الدراسات، ومن هنا تكمن أهمية هذه الدراسة التي تربط بين دلالة الجملة الشرطية ، ووقوع أثر على النفس في جوابها.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٩٢٦ - ٩٨٧ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

خطة البحث: تتكون هذه الدراسة من:

١- مقدمة: حيث عرض الباحثين مشكله الدراسة وأهميتها والدراسات السابقة

٢- مكونات البحث:

التمهيد : التعريف بمجال الدراسة.

المبحث الأول: الجمل الشرطية التي ارتبط جوابها بأثر إيجابي يقع على النفس

- **المطلب الأول**: الآية الأولى (آية الإنفاق)

﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلِأَنفُسِكُمۡۚ﴾

- **المطلب الثاني**: الآية الثانية (آية الجهاد)

﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ﴾

- **المطلب الثالث**: الآية الثالثة: آية التزكّي

﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفۡسِهِۦۚ﴾

المبحث الثاني: الجمل الشرطية التي جمعت في جوابها بين الأثرين(السلبي والإيجابي).

- **المطلب الأول**: - آية الإبصار

﴿قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنۡ أَبۡصَرَ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ عَمِيَ فَعَلَيۡهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ﴾

- **المطلب الثاني**: آيات الهداية والضلال

- **المطلب الثالث**:آية الإحسان

﴿إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ﴾

- **المطلب الرابع**: آيات الشكر والكفر

- **المطلب الخامس**: آيات العمل الصالح والإساءة

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٩٢٦ - ٩٨٧ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

- **المطلب السادس**: آيتا الاستغفار وكسب الإثم
- **المطلب السابع**: آية الوفاء بالعهد

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمَا﴾ [الفتح: ١٠]

الخاتمة: وفيها النتائج والتوصيات.

التمهيد : التعريف بمجال الدراسة

لقد جاءت بعض الآيات الكريمة على هيئة جمل شرطية في سياق الحث على إتيان بعض الأفعال ، وترك بعضها الآخر من خلال ربط هذا الحث بجزاء يعود على النفس مباشرة نحو قوله تعالى (من عمل صالحا فلنفسه، ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد). فجاء هذا البحث لينظر في مواطن هذا الربط، وأثر مجيئه في جملة شرطية ، وليبحث كذلك في طرائق وأساليب هذه الآيات الكريمة في تحقيق المعاني المقصودة من هذه الشرطية التي وردت في هيئتين ، الأولى جمعت بين الأثر الإيجابي والسلبي –كما هي الآية المذكورة هنا_ وهيئة استقلت بالأثر الإيجابي دون السلبي نحو قوله تعالى: (وما تنفقوا من خير فلأنفسكم) .فقسّم الباحثان هذا البحث وفق هاتين الهيئتين. و اختصّ هذا البحث بالآيات الواردة على هيئة جمل شرطية ورد فيها لفظ النفس أو ما يعود عليها في جواب الشرط _ على الخصوص_ سواء كانت هذه العودة مرتبطة بأثر إيجابي أو سلبي . ولابد من بيان معنى الإيجابية والسلبية المقصودة هنا فالإيجابية هي : "اقتناع عقلي ودافع نفسي لا يكتفي بتنفيذ المطلوب ، ويتجاوز إلى المبادرة والارتقاء" [(١)] وبعضهم يرى أنّ الإيجابية هي الحافز الذي يدفع الإنسان لأداء عمل معيّن ليتمكّن من الوصول إلى غاية محددة، ومواجهة كافة الصعاب لتحقيق الأهداف[(٢)] .فالأثر الإيجابي هنا في البحث هو ذلك الحافز الذي ذكرته الآيات لمزيد من الحثّ على الفعل ، وربط هذا الحافز بلفظ النفس أو بما يعود عليها .

[(١)] https://www.alukah.net/social/٠/٤٥٣٧٥/ إبراهيم، حسام العيسوي، مقال منشور على الموقع

[(٢)] انظر المصدر السابق

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٩٢٦ – ٩٨٧ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

وأما الأثر السلبي، فالسلبية هي: "حال نفسية تؤدي إلى البطء والتردّد في الحركة ، وقد تنتهي إلى توقّفها"[٣] فالأثر السلبي هنا هو الأمر الذي ذكرته الآيات على سبيل التهديد والوعيد بقصد إبعاد المخاطب عن هذا الفعل.

فهذه الآثار الإيجابية والسلبية كما ارتبطت بالنفس لفظاً، فهي ترتبط بها دلالة ومعنى ، والبحث يحاول استخراج هذه الدلالات واستخلاص معانيها.

[٣] أنيس وآخرون،إبراهيم أنيس، عبد الحليم منتصر، عطية الصوالحي، مُحَمَّد خلف الله، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط:٤، ٢٠٠٤،ص:١٢٧

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٩٢٦ - ٩٨٧ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

بسم الله الرحمن الرحيم

المبحث الأول: الجمل الشرطية التي ارتبط جوابها بأثر إيجابي يقع على النفس

المطلب الأول:الآية الأولى (آية الإنفاق) ﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلِأَنفُسِكُمۡۚ ﴾ [البقرة: ٢٧٢]

﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلِأَنفُسِكُمۡۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٢]

نزلت هذه الآية في سورة البقرة المدنية، في سياق تتابعت فيه الآيات في الحث على الإنفاق والترغيب فيه بكل الوسائل، وتطهيره من كل سوء يمكن أن يختلط به ، وهذه من الآيات التي جمعت بين الطهرين، طهر المال بالإنفاق ، وطهر نفس مُنفقه من المنّ والأذى.

وقد ذهب المفسرون في تفسير هذه الآية مذهبين :

١-أنّ المقصود بالآية جواز الصدقة على المشركين، حيث كان الصحابة يتحرّجون من الصدقة على أقربائهم من المشركين.[٤] واستدلوا على هذا المعنى بالآثار الواردة في نزول الآية[٥].

٢ــ أنّه :" لا يجب عليك أن تجعلهم مهديّين إلى الانتهاء عمّا نُهوا عنه من المنّ والأذى والإنفاق من الخبيث وغير ذلك ، وما عليك إلا أن تبلّغهم النواهي فحسب ، وأنّ المقصود بقوله تعالى ﴿ فَلِأَنفُسِكُمۡۚ ﴾: فهو لأنفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنّوا به على النّاس، ولا تؤذوهم بالتطاول عليهم[٦]. فإنّ الخير الذي يعود على النفس أعظم من الخير الذي يعود على الفقراء؛

---

[٤] – انظر الطبري، مُحَمَّد بن جرير، جامع البيان في تأويل آي القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان،ج:٣،ص:٩٦

[٥] – السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر، لباب النقول في أسباب النزول، ضبطه وحققه: أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ص:٤١

[٦] الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف ،ج:٣،ص:١٥٢٣

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٩٢٦ – ٩٨٧ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

لأنّ نفع المنفِق فيه ديني ونفع المنفَقِ عليه دنيوي[٧]، فالمُنفَقُ عليه يقضي حاجته الفانية، ويحصل للمُنفِق الثواب الأبديّ.[٨] وقد تكرّر لفظ الإنفاق في الآية ثلاث مرات في نفس الآية، مرتين بصيغة الشرط لبيان الملازمة بين الإنفاق والثواب. حيث جاءت كل جملة منها مستقلّة ليسهل حفظها لتجري على الألسنة مجرى المثل الذي تتناقله الأمم.[٩] والتذكير بالحقيقة الثابتة، وهي أنّ عطاء الإنسان يعود إلى الإنسان، وعطاء ربّنا يعود إلينا.

ولا تكون عودة الخيرية في الإنفاق على النفس محصورة في الآخرة ، بل في الدنيا أيضاً؛ فإنّ المنفِق بهذا الإنفاق يُبعد عن مجتمعه خطر التهلُكة الاجتماعية جرّاء العُقَد التي تحصل من التفاوت الكبير بين الطبقة الاجتماعية الكادحة وطبقة الأغنياء، وبذلك يمكن لجميع طبقات المجتمع المشاركة في الحياة الاجتماعية، وبالتالي رفع مستوى الحياة التي يتمتّعُ بها المحسِن والمحسَنُ إليه. وبذلك تتحسّن مستويات المسؤولية المجتمعيّة تجاه الغير على الصعيد المعيشي. [١٠]

وبضمّ المعاني التي ذهب المفسرون إليها في تفسير الآية إلى بعضها يظهر للباحثين أن هناك مستويين تعمل الآية على صعيدهما؛ المستوى الأول كمّي من خلال توسيع دائرة النفقة لتشمل المسلم وغير المسلم داخل المجتمع، وبالتالي الحفاظ على ترابط المجتمع بغضّ النظر عن أطيافه وديانات أصحابه، والإقرار بهذا المبدأ إقرارٌ لسيادة الإسلام وأخلاق الإسلام على هذا المجتمع، بجعل النفقة تمتدّ إلى الإنسان مهما كان دينه.

أمّا المستوى الثاني هو المستوى النّوعي ؛ وهو رفع سويّة هذه النفقة وتطهيرها تطهيراً مادياً ومعنويّاً. التطهير المعنوي من خلال ترك المنّ و الأذى ، وتتمثل خيريّة هذا التطهير المعنوي من خلال نزع البغض والحقد من أنفس المحسَن إليهم؛ لما يلمسونه من طهارة أنفس المحسِنين. وكذلك تنفي أن تكون الصدقات قائمة على مبدأ العزيز والذليل ، بل يبدو الأمر وكأنه قائم على المنفعة المتبادلة، وبالتّالي رفع مستوى تفكير الأفراد و أدائهم في خدمة المجتمع.

---

[٧] انظر أبا السعود، مُحَمَّد بن مُحَمَّد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي،بيروت،ط:١، ج:١،ص:٥٦٣

[٨] انظر القاسمي، مُحَمَّد جمال الدين، محاسن التأويل ، تحقيق مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، ط:١،١٩٥٧ ج:٢،ص:٢١١

[٩] – انظر أبا السعود، ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم،ج:١،ص:٥٦٣

[١٠] انظر الخطّاف، حسن، استشعار المسؤولية في القرآن الكريم ، مجلة مقاربات، المجلس الإسلامي السوري ،العدد السادس، ص:١٨٧.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٩٢٦ - ٩٨٧ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

وأما التطهير المادّي فيكون بعدم الإنفاق من الخبيث، كأن يكون المال مسروقاً أو محرّماً، بل يتخيّر المنفِق من ماله الأطيب ويُنفقه؛ لأنّ خير هذه النفقة عائدٌ إليه .

ولضمان سلامة الإنفاق من الأنانية لما تثيره كلمة لأنفسكم ، فقد أتبعها الله -سبحانه وتعالى- بقوله ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِۚ﴾[البقرة: ٢٧٢] ، أي أنها لا تكون لأنفسكم إلا إذا أُنفِقت على هذا الحال (ابتغاء وجه الله).[١١]

كما أنّ ورود كلمة النفس في جواب الشرط هو طمأنة من الله -عزّ وجل- بأنّ النفع العائد من الصدقات عائد إلى أنفسهم. واستخدام (ما) الشرطية فائدته هنا أن تضع الآية قانوناً عاماً، ليس لحادثة النزول وحدها، وإنّما لكل الحوادث[١٢] لما عُلم أنّ(ما) تستخدم في سياق العموم[١٣]، ولهذا جعلها علماء اللغة من أدوات الشرط غير الزّمانيّة.[١٤]

وجاء الربط هنا بين الجملة الشرطية وجوابها بالفاء؛ لما ذكره بعض نحاة العرب من أنّ الشرط والجزاء لا يصحّان إلا بالأفعال؛ لأنّه إنما يُقصد وقوع الفعل بوقوع غيره.[١٥] وكان بالإمكان قول وما تنفقوا من خير يعُد إليكم، ولكن لما هو معلوم من أنّ الجملة الاسمية تدلّ على الثبوت، فإنّ الآية أرادت أن يكون خير هذا الإنفاق ثابت للنفس الإنسانيّة في الدنيا والآخرة . فلمّا كان الكلام أوله فعل (وما تنفقوا)، وآخره اسم (فلأنفسكم)، أدخلوا الفاء لتَدلّ على أنّ ما بعده مسبّبٌ عمّا قبله.[١٦]

---

[١١] انظر الواحدي، أبا الحسن علي بن أحمد بن مُحَمَّد، التفسير البسيط، تحقيق: مُحَمَّد بن صالح بن عبدالله الفوزان، جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود ،١٤٣٠هـ،ج:١،ص: ٣٨٧

[١٢] انظر الشمسان، إبراهيم، الجملة الشرطية عند العرب، ط:١، مطابع الجدوى القاهرة،١٩٨١م.

[١٣]انظر السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي، رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، تحقيق د.مُحَمَّد عبدالرحمن مخيمر، دار الكتب العلمية،بيروت-لبنان،ط:١،ص:٢٢٦

[١٤] انظر بن خلاط- مهنية، آسيا- بزوح، نظام الارتباط في أسلوب الشرط وأفق الدلالة النحوية نماذج في القرآن الكريم، رسالة ماجستير ،جامعة عبد الرحمن ميرة، إشراف الدكتور أبو بكر زروقي،٢٠١٦م،ص ٣١

[١٥] انظر ابن جنّي، أبو الفتح عثمان بن جني، صناعة الإعراب،ج:١،ص:٢٥٤

[١٦] انظر المصدر السابق،ج:١،ص:٢٥٤

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٩٢٦ - ٩٨٧ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

ونخلص ممّا سبق أنَ الله – عزّ وجل- أراد هذا الإنفاق أن يكون خيراً دائماً للنفس، ودلّ على هذه الديمومة بالجملة الاسمية ، كما أراد أن يثبت في نفس المنفِق أنه خير مضمون من الخالق ، فالمال يمكن أن يبقى بيد صاحبه فيعود بالشرّ عليه، ولكن طالما أنفق العبد جزءًا منه فقد ضمن خيريّة هذا الجزء، بل ويحفظ الله به بقية ماله بدلالة (فلأنفسكم، يُوفّ إليكم). فكلمة يوفّ إليكم طمأنة بأنّ أجر صدقاتهم يُوفّى إليهم من غير نقصان.[١٧]

المطلب الثاني: آية الجهاد

﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٦]

جاءت هذه الآية في سورة العنكبوت المكية، محورها الأساس الحديث عن الإيمان والفتنة، في سياق عُني ببيان طريق الإيمان الحق، ليكون الجهاد هو هذا الطريق الفارق بين الإيمان والفتن.

اختلف المفسرون في المقصود من الجهاد على قولين:[١٨] ، وسبب خلافهم أنّ السورة مكية ورد فيها لفظ الجهاد؛ جهاد العدو في المعركة ، أو جهاد النفس. و الثاني أولى لاتفاقه مع خاتمة السورة[١٩]

﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩] ، ولأنّ الثاني يشمل الأول كما يشمل كل أنواع الجهاد. ولكون السورة مكيّة ، ولأنّ سياقها بكامله يدور حول هذا المعنى. والجهاد بهذه المعاني يكون مهارة حياتية يمارسها الفرد بشكل دائم.

---

[١٧] انظر هندي، تنوير أحمد، أساليب الحث على الصدقة في سورة البقرة –دراسة بلاغية– جامعة جازان، قسم اللغة العربية، ص ٣٣

[١٨]–انظر الشوكاني، مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار الكتب العلمية،بيروت– لبنان،ج:٢،ص:١١٥

[١٩] – انظر حوى، سعيد، الأساس في التفسير، دار السلام،ص:٢٣

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٩٢٦ - ٩٨٧ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

والجهاد بكلّ أشكاله هو مقاومة كل العوامل المانعة من الدخول في الإسلام، سواء أكانت هذه العوائق أخلاقية أو فكرية أو ماديّة[٢٠]. وأيّاً كان المقصود من الآية ، فإنّ ربط نفع هذا الجهاد بالنفس يدفع العبد إلى أن يحسنَ عمله وجهاده ويتقنه[٢١]. حتّى يعلم أنّ فعله له، وأنّه حظّه الذي ينبغي أن لا يُفرّط فيه[٢٢]

فهذه الآية تُحمل كثيرا من المعاني التفصيليّة، فبمقتضاها تتطهّر القلوب من الشرك ،وهذا ما يؤكده سياقها (من كان يرجو الله) ، وتتطهّر الأعمال من الإساءة والتقصير، كما تتطهّر النفس من الكِبر والأنانية؛ لما وقر في نفسه من فقره وحاجته إلى جهاد أهوائه ومرادات نفسه التي تخالِف أوامر الله – سبحانه وتعالى-. كما تتطهّر الأوقات من العبث لما تُعلمه هذه الآية لحاجته لأن يبني لنفسه المقام الذي يريده في الآخرة.

فالربط هنا بين التضحية بالنفس أو بحظ النفس من الشهوات ، وبين خير هذه التضحية العائدة على النفس يساعد على تحقيق التوازن الداخلي في شخصية الإنسان المسلم بين خصائصه المادية وتطلّعاته الروحية ؛ لأنّ الجهاد المأمور به الإنسان هنا يمثّل الحفاظ على قاعدة الخير في الحياة، القاعدة التي تبدأ بالله -عز وجل- وتنتهي نهاية خيّرة سعيدة إلى الله – عز وجل-. وبين البداية والنهاية تتحقق مصالح البشر المادية على أحسن وجه، ولهذا كان الجهاد حاجة إنسانية ملحة للاستقرار والطمأنينة، وليس حاجة إلهية، لغناه سبحانه وتعالى عن العالمين[٢٣] ، " ولذلك عقّب الرد المستفاد من القصر بتعليله بأنّ الله غني عن العالمين، فلا يكون شيء من الجهاد نافعاً لله تعالى، ولكن نفعه للأمة" [٢٤]. و بهذا الجهاد تحافظ الأمة على طاقاتها من الهدر والضياع . واتساقاً مع هذا النفع فقد ورد في آخر العنكبوت

---

[٢٠]-انظر الأزهر، شوقي، افتتاحية للمؤتمر الدولي السنوي الخامس، الصراع والمقاومة، نحو فهم نقدي لمفهوم الجهاد والحرب،٢٠١٧م.

[٢١] انظر الرازي، مُحَمَّد الرازي فخر الدين، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر، لبنان- بيروت،ط:١،ج:٢٥،ص:٣٣

[٢٢] انظر ابن عطية، القاضي أبو مُحَمَّد عبد الحق بن غالب ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق : عبد السلام عبد الشفا مُحَمَّد، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان،ج:٤،ص:٣٠٧

[٢٣]-انظر المصدر السابق،ص:١٨

[٢٤] - انظر ابن عاشور، مُحَمَّد الطاهر التحرير والتنوير، الدار التونسية،١٩٨٤م،ج:٢٠،ص:٢١١

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٩٢٦ - ٩٨٧ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩] وهذه هي الثمرة الأولى وهي الهداية. وقال في أول السورة التالية وهي الروم ﴿يَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الروم: ٤-٥] وهذه عاقبة النصر وهي الثمرة الثانية[٢٥]. وهذه النتائج والثمرات تدلّ على المسؤولية الفردية التي يتحملها الفرد تجاه جماعته؛ لأنّ الإنسان يمتحن داخل وعائه الفردي وداخل وعائه الجماعي، وإيثار الفعل المضارع في جواب الشرط (فإنما يجاهد)، للدلالة على الحدوث والمزاولة والتجدّد ، فهنا يجاهد فعلٌ يحتاج إلى مزاولة وتمرّس، ويتجدّد كلّما طرأ طارئ فتنة أو كلما خبت قوى الإنسان على الطاعة وترك المعصية.[٢٦]

و تخلق هذه الآية توازناً يحمي العبد من العجب والكبر حين يعلم أنّ تضحيته بأثمن ما عنده -وهي نفسه ورغباتها- إنما يؤول إليه نفع هذه التضحية، فيزداد إخلاصا لله في جهاده. ولذا ذهب البعض إلى أنّ المقصود من هذه الآية أن يُظهر العبد على نفسه آثار العبودية(٢٧) .

وترسيخاً لإخلاص العبد في جهاده وعدم انسياقه وراء نفع نفسه، فقد ذكّر الله تعالى بالآخرة في الآية السابقة ﴿ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [العنكبوت: ٥].

---

[٢٥] -انظر البقاعي، إبراهيم بن عمر ، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، مكتبة المعارف،الرياض،ط:١،١٩٨٧، ص:٣٤٦

[٢٦] انظر البياتي، سناء حميد، قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم ، دار وائل ، لبنان ، ط:١،ص:٥٨.

[٢٧] - انظر السلمي، مُحَمَّد بن الحسين ، حقائق التفسير، تحقيق: سيد عمران، ط:٢، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧،،ص:١١٥

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٩٢٦ - ٩٨٧ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

المطلب الثالث: آية التزكية

﴿ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦٓ ﴾ [فاطر: ١٨]

٣ـ ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾[فاطر:١٨]

جاءت هذه الآية متوسطه لسورة فاطر المكية التي نزلت في جوّ مليء بالشدائد والمحن والاضطهاد والإيذاء، الذي سبّبَ فتن بعض المسلمين عن دينهم، ودفع بالمسلمين للهجرة إلى الحبشة فيما بعد[٢٨] ومن هذا الجو تأتي أهمية هذه الآية التي تدعو إلى تزكية النفس وتطهيرها لتهيئتها حتّى تتحمّل ظروف المحن والإيذاء الذي يتكرر في كل زمان ومكان بصور وأشكال متنوّعة. كما أنّها جاءت مُتّسقة مع المحور الرئيس الذي تدور حوله السورة، وهو التذكير بنعم الله الجليلة ولهذا افتتحت بالحمد، وفي هذا تبكيت لمن لا ينتفع بإنذار الرسول ـ ﷺ- وهو صدر الآية ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم....﴾[فاطر:١٨]-- موضوع البحث- وبالتالي تبكيت لمن لا يسعى لتزكية نفسه . فجاءت الدعوة للتزكية التئاماً مع قوام هذه السورة التي تدعو إلى استشعار نعم الله والقيام من الغفلة عنها

وقد سدّ معنى هذه الآية ثغرةً كبيرة في نفوس المسلمين يومئذٍ بسبب تلك الشدائد والمحن التي أحاطت بهم، لهذا رأى بعضهم أنّ موقع قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى كموقع قوله[٢٩] تعالى : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف: ١١٠].

---

[٢٨]-انظر العمودي، وليد محمد العمودي سورة فاطر دراسة تحليلية وموضوعية مقارنة، رسالة ماجستير إشراف إبراهيم الكيلاني، الجامعة الأردنية، ١٩٨٧ م، ص٤٥ .

[٢٩]- انظر ابن عاشور، ج:٢٢،ص: ٢٨٧

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٩٢٦ – ٩٨٧ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

وقد ذهب العلماء في معناها مذهبين الأول أنها تأمين للمسلمين من الاستئصال في الدنيا[٣٠] والثاني تأمين من تعميم العقاب في الآخرة[٣١]. ويرى الباحثان أنّ المعنى يشمل الأمرين لاحتماله لهما ، ولوجود قرائن تؤيد كلاً منهما، فيدلّ على المعنى الأول أنّ هذه الآية جاءت لطمأنة المسلمين[٣٢] بعد قوله تعالى ﴿ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ﴾ [إبراهيم:١٩] لما تثيره هذه الآية من خوف الاستئصال في نفوسهم. ويؤيد الثاني قوله تعالى بعد ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ﴾[فاطر:١٨] .... ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ .....﴾[فاطر:١٨]

والمقصود بقوله تعالى (مَنْ تَزَكَّى) أي من تطهّر بفعل الطاعات وترك المعاصي.[٣٣] وقد نوّهت الآية بالصلاة؛ لأنها رأس الطاعات، كما نوّهت بخشية الله بالغيب؛ لأنّها أساس الامتناع عن المعاصي. وتنسجم هذه المعاني الشرعية مع معاني التزكية في اللغة حيث يُراد بها معنيان:

١ التطهير[٣٤] ومنه قوله تعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [التوبة: ١٠٣]

٢– الزيادة[٣٥] يقال زكا المال يزكو إذا نما.

فالزكاة تدور بين هذين المحورين؛ التحلية بالأعمال الصالحة ومكارم الأخلاق[٣٦] والتخلية من الأوزار[٣٧]، وهما عمليتان تدور بينهما حياه المؤمن.

---

[٣٠] انظر المصدر السابق ،ج:٢٢،ص: ٢٨٧

[٣١] – انظر المصدر السابق،ج:٢٢،ص: ٢٨٧

[٣٢] انظر المصدر السابق،ج:٢،ص: ٢٨٨

[٣٣] – انظر الزمخشري، الكشاف ج: ٢ص٨٨٣.

[٣٤] –الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، دار الكتب العلمية،ط:٢،باب الزاي، (زكا،يزكو)، ص:١٨٩

[٣٥] – المصدر السابق، ص ١٨٩

[٣٦]–انظر السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن، ٢٠١٣م، ١٣٨٥

[٣٧] – القاسمي، مُحَمَّد جمال الدين، محاسن التأويل ، ج:٢،ص:٢١١

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٩٢٦ - ٩٨٧ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

كما يرى الباحثان أنّ التزكية جزءان بدلالة ما ورد في الآية، جزء قلبي يدلّ عليه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [الملك: ١٢] ، وجزء عملي بدلالة ﴿ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [الأعراف: ١٧٠] فلا تتم تزكية النفس حتى تجمع بينهما، ولهذا ذكر علماؤنا أنّ القلب يحتاج أن ينمو ويزيد حتى يكمل ويصلح، كما يحتاج البدن أن يُربّى بالأغذية.[٣٨] وهكذا شكّلت كلّ آية في القرآن الكريم دوراً في عملية التزكية؛ لأنها عملية طويلة تحتاج إلى جهد نفسي وبذل مالي، ولأجل هذا الجهد والبذل، ربط القرآن الكريم ثمرتها بالنفس، فقال : ﴿ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفۡسِهِۦۚ﴾ [فاطر: ١٨] ، بل وحصر خيريّتها في النفس بأداة الحصر (إنما)، وتمر النفس عبر هذه العملية بمراحل ترتقي بها من حال إلى حال أفضل، فتكون النفس الأمّارة بالسوء ثمّ تتحول بالتزكية إلى النفس اللوامة حتى تصل إلى النفس المطمئنة. ولما كانت الآية التي نوّهت بالنفس المطمئنة في سياق الموت، عُلم أنّ هذه المرحلة لا يستطيع أحد أن يدّعي وصولها، وهذا ما ينسجم مع قوله تعالى ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا ﴾ [النور: ٢١] .

تدل هذه الآيات الكريمة على أنّ النفس بفطرتها مستعدة للفجور الذي يدنسها ويدسّيها استعدادها للتقوى التي تطهّرها، ولذا عظُم فضل الله في هذه التزكية .

ويتّسق هذا التدريج في تربية النفس من الأمّارة بالسوء وحتّى المطمئنة مع المعنى الصرفي للفعل تزكّى على وزن تفعّل الذي يفيد التدرّج في أحد معانيه[٣٩].

كما يدلّ إيثار الفعل المضارع هنا ﴿ يَتَزَكَّىٰ لِنَفۡسِهِۦۚ﴾ [فاطر: ١٨] على الاستمرار والتجدّد[٤٠] ، وكذا تُعتبر دلالة الفعل الماضي الزمنية في سياق من الشرطية دلالة مطلقة[٤١]، وأنه ماض في الظاهر فقط لفظاً لا معنى[٤٢] . كما دلّ الفعل

---

[٣٨] انظر ابن قيّم الجوزية، الإمام شمس الدين محمّد بن أبي بكر ،إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، حققه وكتب هوامشه: محمّد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ص:٥٠

[٣٩] انظر الحملاوي، أحمد بن محمّد بن أحمد، شذا العرف في فن الصرف،دار الكيان، ص٦٥

[٤٠] انظر ابن الحاجب، جمال الدين أبو عمرو عثمان بن عمر، مجموعة الشافية في علمي التصريف، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان،ج:١ ،ص: ١١٤

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٩٢٦ - ٩٨٧ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

الأول بالمضي على مدح أولئك الساعين في طريق التزكية[٤٣] بالصلاة وحفظ الغيب، وكأنهم امتثلوا لأمر التزكي وأدّوه. كما أن مجيء طلب التزكي بعد أداء الصلاة وحفظ الغيب يدل على أنّ الذي ينتفع بتزكيته هو المؤمن العامل للصالحات. وإيثار صيغة (تفعّل) في تزكّى على معنى المطاوعة[٤٤]، وبهذه الصيغة يكون قد عظُم توبيخ الذين لم يزكوا أنفسهم، فكأنّ الله -سبحانه وتعالى- زكّى عباده بكل وسائل التزكية فلم يطاوع بعضهم أثر هذه الوسائل وقوانينها في تزكية العباد، فلم ينتفعوا بها ولم يتزكّوا.

وكذلك يأتي إيثار هذه الصيغة لمعان أخرى منها التكلف؛ لأنّ صاحبه يتكلّف أصل ذلك الفعل ويسعى لحصوله فيه وإن لم يكن موجودا في النفس[٤٥]. ويدلّ هذا أنّ فعل التزكّي لا يحصل بالسجية، وإنما يحتاج إلى جهد وتكرار حتى يحصل. ولأجل هذا السعي الذي يتطلب العمر كله والجهد والمال قال الله تعالى مادحاً المتزكين ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [طه: ٧٦]

يظهر مما سبق أن ارتباط خيرية التزكي بالنفس لم يأت عبثاً، وإنما من حاجة صاحب الفعل إلى الاستمرار في هذا الطريق الصعب الذي تكثر عوائقه حتى لا يصاب بالخيبة واليأس، ويتمكن من الصبر على الطاعات، والتخلي عن اتباع

---

(٤١)- انظر فراج، فؤاد عيد عودة، الدلالات الزمنية للفعل الماضي في اللغة العربية وأهميتها في الترجمة، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك،١٩٨٨م،ص: ١٠٧

(٤٢)ا انظر عكاشة، محمود، الربط في اللفظ و المعنى تأصيل وتطبيق في ضوء علم اللغة، ط:١ ٢٠١٠ م، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي القاهرة، ص:١٨١.

(٤٣) - انظر الحيالي ، معن توفيق دحام، المدح والذم في القرآن دراسة موضوعية، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان ١٩٧١ م ،ط:١، ص:٢٢٠.

(٤٤) -انظر فيصل، خولة محمود، المطاوعة وتأصيلها في العربية، جامعه تكريت، قسم اللغة العربية المجلد ١٩ العدد ١٠ تشرين أول ٢٠١٢ ميلادي، ص:١٢٤.

(٤٥) انظر. نصيرات ،الميتا دكتور جهاد نصيرات ،دكتورة مروتي أليتا ، معاني الزيادة للفعل الثلاثي المزيد بحرفين تفعل في السياق القرآني، مجلة الميزان للدراسات الإسلامية والقانونية ،جامعة العلوم الإسلامية، العدد:٢ ، المجلد الخامس،حزيران،٢٠١٨م،ص:٣٨٤

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٩٢٦ - ٩٨٧ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

الشهوات، فكأنّ الآية جاءت لتشُدّ من أزر الساعي إن رأى نفسه ملّت يسليها بأنّ هذا السعي إنما هو لخير نفسه لا لحاجة ربه إليه. ولهذا سبقت الآية الكريمة بقوله

﴿۞يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥] وأنّ هذا السعي لن يضيع، فطمأن الله تعالى بحفظ هذا السعي بقوله ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [النور: ٤٢]

المبحث الثاني: الجمل الشرطية التي جمعت في جوابها بين الأثرين (السلبي والإيجابي).

المطلب الأول: - آية الإبصار

﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ [الأنعام: ١٠٤]

وردت هذه الآية الكريمة في سورة مكية تعالج قضية العقيدة الأساسية في هذا الدين، من خلال تعريف العباد بربهم الخالق المدبر الرازق، والتعريف بمصيرهم في الدارين، ولفت أنظارهم إلى أسرار الكون[٤٦]، ولذا فقد جاءت هذه الآية لتصف آيات الله -عزّ وجلّ- بالبصائر. وقد سبقها قوله تعالى ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] ، ثم جاءت الآية تتصدّرها كلمة البصائر لتدلّ على أنّه، وإن كانت الأبصار لا تدركه -عزّ وجلّ، لكنه ينبغي للقلوب والعقول أن تُبصر البصير - سبحانه وتعالى- بآثار خلقه في الكون وكلامه في القرآن الكريم. فكانت هذه البصائر من لطف البصير لتدل عليه -سبحانه وتعالى-.

---

[٤٦] -انظر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي القدير،ط:٣، ١٩٩١م، راسم للدعاية والإعلان، ج: ٢،ص:١٠١

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٩٢٦ – ٩٨٧ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

وقد جاءت هذه الآية بعد سلسلة من الآيات التي تبين دلائل قدرة الله في الكون ، فسمّت السورة آيات القرآن بالبصائر ليُعلم أنّها قد بلغت من تكوينها أشياء مُحسّة تجيء.[٤٧] بل رأى بعضهم أنّها أقوى من الأبصار الظاهرة لكونها (من ربكم) [٤٨]، وقد وُصفت آيات القرآن في أكثر من موضع بهذا الوصف قال تعالى ﴿ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٣] وقال سبحانه: ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية: ٢٠] وقال تعالى: ﴿ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ ﴾ [الأعراف: ٢٠٣] وتصديقاً لوصف آيات القرآن بالبصائر ، فقد أخبر –سبحانه وتعالى– في مواضع كثيرة عن الأمم السابقة بقوله: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ﴾ [الفيل: ١]

فالأصل أنّها أخبار مسموعة لا مرئية للمخاطب، لكن إيثار لفظ (ترى) على لفظ تسمع؛ لأنّ المراد أن ينظر المخاطب نظر العارف لتتحقّقَ البصيرة، فينتفع بهذه الرؤية ،كما يُراد أن يكون تصديق المخاطب لهذه الأحداث تصديق الرائي الذي رأى بعينيه، لا تصديق السامع الذي اكتفى بالسماع بأذنيه.[٤٩] وقد أعظمت هذه الآية في إثبات الحجة على الكافرين؛ لأنّها جمعت في سياقها بين الحجج الكونية والعقلية[٥٠]. ويُلحظ تذكير الفعل (جاءكم)؛ لأنّ الأصل جاءتكم، ومع أنّه جائز، لكنّه خلاف الأولى تنويهاً بشأن القرآن الكريم وأنه كله بصائر[٥١]. كما أنّ إسناد المجيء إلى البصائر مجاز لتفخيم شأنها وإشارة لغفلة المخاطبين؛ لأنّ المجيء يكون بعد غياب[٥٢].

---

[٤٧] –انظر طنطاوي، مُحَمَّد سيد، التفسير الوسيط، دار السعادة، المجلد الخامس،ص:١٠٤

[٤٨] –انظر المهائمي، علاء الدين بن أحمد، تبصير الرحمن وتيسير المنان دار الكتب العلمية ،ص:٤٥٦

[٤٩]انظر الشعراوي، مُحَمَّد متولي، تفسير الشعراوي،١٩٩١م،أخبار اليوم – القاهرة ج:٢، ص:١٠٤٧

[٥٠] انظر رضا ، مُحَمَّد رشيد، تفسير القرآن العظيم، ج: ٧ ،ص: ٥٦٩

[٥١] انظر رضا، تفسير القرآن العظيم، ج: ٧ ، ص: ٥٦٩

[٥٢] – انظر القنوجي، أبو الطيب، مُحَمَّد صديق حسن ،فتح البيان مقاصد القرآن، دار الكتب العلمية، لبنان،ج:٢، ص:٤١٩.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٩٢٦ - ٩٨٧ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

و نبّهت الآية الكريمة على كمال هذه البصائر بكمال مصدرها (من ربكم)، إضافة إلى ما يظهره اسم الربوبية من كمال اللطف بهم.[٥٣] وأنه غير مراد بهذه البصائر إلا أن تكون طريقاً لهدايتهم. وما يؤكد أنّ هذه البصائر هي من باب التلطف أنّه سمى -سبحانه وتعالى- الهداية بالإبصار ترغيباً بها، وسمّى الضلال بالعمى تنفيراً منه[٥٤] ، ولهذا ذُيلت الآية السابقة باسم (اللطيف) ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] . وكأن هذه الآية أجملت اللطف، والآية التالية فصّلت فيه، كما يدل اسم الخبير على تمام هذه البصائر، و لا يتخللها نقص ولا عيب لأنها من لدن خبير.

و أولى الأقوال في تقدير المحذوف أن يكون مصدراً؛ لأنّ الآية تكون قد جمعت بذلك بين الفعل الدّال على التجدّد[٥٥] والمصدر الدال على الثبوت، الذي يعني أن يكون هذا الإبصار صار منهجاً قائماً في حياته، ولا يكون كذلك حتى يربي نفسه عليه مرة تلو مرة. وجاء الفعل الماضي (أبصر) ليدل على تحقّق فعل الإبصار فيه، فهي صيغة مدح لمن تحلّى بها، وذم لمن تجاهلها.

وقد نُسجت الآية على هذا النسج ﴿ فَمَنۡ أَبۡصَرَ فَلِنَفۡسِهِۦۖ ﴾ [الأنعام: ١٠٤] للإيذان بأنّ (لنفسه) مقدّمة في التقرير على متعلّقه المحذوف (فنفسه أبصر)[٥٦]. والتقديم مقصود ليفيد معنى القصر، أي فلنفسه أبصر، لا لفائدة غيره، وقد جاء هذا القصر؛ لأنّ المشركين كانوا يحسبون أنّهم يغيظون النبي -صلّى الله عليه وسلم - بالإعراض عن دعوته.[٥٧]

والكلام على لسان النبي -ﷺ-، ولهذا ذُيّلت بقوله تعالى: ﴿قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنۡ أَبۡصَرَ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ عَمِيَ فَعَلَيۡهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ﴾ [الأنعام: ١٠٤] و جاء هذا التذييل لما في ورد في صدر الآية

---

[٥٣]-انظر الآلوسي، محمود الألوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، المجلد الثالث ، ج:٤، ص:٢٣٤

[٥٤] -انظر المصدر السابق، ج: ٤ ، ص: ٢٣٤

[٥٥] انظر نصيف ، ياسين عبد الله، التقيد بالمفعولات في القرآن الكريم، سلسلة الرسائل والدراسات الجامعية دار الكتب العلمية، ص:١١٠

[٥٦] انظر المصدر السابق ،ص:١١٠

[٥٧] انظر نصيف ، التقيد بالمفعولات في القرآن الكريم، ص:١١٠

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٩٢٦ - ٩٨٧ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

الكريمة من نسبة هذه البصائر إلى الله –سبحانه وتعالى– بلفظ الربوبية، اللفظ الذي يؤكد عناية الله بخلقه ولطفه بهم، مما قد يُثير في نفس المخاطب توهّم وجوب هدايته لهم، وأنّهم مسيّرون بموجب هذا اللطف، فجاء التنبيه على حماية الاختيار، و أنّ مهمّة النبي –ﷺ– توفير هذه الحماية، وإزالة العوائق أمامها.

المطلب الثاني: آيات الهداية والضلال.

أ) قال تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ [يونس: ١٠٨].

ب) قال تعالى: ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]

ج) قال تعالى: ﴿وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [النمل: ٩٢]

د) قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الزمر: ٤١]

هـ) قال تعالى: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبأ: ٥٠]

وردت الآيات الكريمة في سور كلها مكية، وهو ما يتّسق مع موضوعها (الهدى والضلال) اتساقاً تاماً. كما جاءت جميعها مذيّلة بالتنبيه على وظيفة الرسول مما يؤكد مكيّتها، ولذا حسُن تناولها جملة واحدة لتشابهها في المقاصد وظروف النزول. باستثناء الآية الأخيرة فقد اختلفت عن أخواتها في المقصد وترتيب الأفعال، واختلافها في التذييل كذلك.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٩٢٦ - ٩٨٧ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

وعند تتبع السياق في هذه الآيات الأربع تجد ركائز مشتركة بين كل آية وأخواتها ومنها:

الدلالة على الله بالآيات الكونية ، وذكر أخبار الأمم السابقة، وخصوصاً سنن الله في هلاكهم بعد الضلال، وذكر هذا القرآن والتنويه بشأنه؛ لأنّه الجامع لكل دلالات الهداية ذكراً وتفصيلاً.

وقد تشابهت الآيات الأربع الأولى في صيغة الاهتداء والضلال الشرطية، إلا في موضع واحد تُرك فيها قصر الاهتداء على نفس المهتدي، وهو موضع سورة الزمر إذ وردت ﴿ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَلِنَفۡسِهِۦۖ ﴾ [الزمر: ٤١] بدون إنما . وذلك لأنّ الآيات السابقة جميعها وردت بالأمر بمخاطبة المشركين، فكان المقام فيها مناسباً للتنبيه على أنّ فائدة اهتدائهم لا تعود إلا إلى أنفسهم خلافاً لهذه الآية الكريمة، فالخطاب فيها موجه من الله -سبحانه وتعالى- إلى رسوله -ﷺ- وليس للمشركين.[٥٨] وأمّا صيغة القصر في قوله تعالى ﴿ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ ﴾ [الإسراء: ١٥] بقيت على حالها لتنزيل الرسول -صلى الله عليه وسلم -في أسفه على ضلالهم المفضي بهم إلى العذاب، منزلة من يعود عليه من ضلالهم ضرّ، فخُوطب بصيغه القصر[٥٩].

كما خالفت آية سورة الإسراء الآيات الثلاثة في تذييلها ففي يونس ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ﴾ [يونس: ١٠٨] وفي الزمر ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الزمر: ٤١] وفي سورة النمل ﴿فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ﴾ [النمل: ٩٢] فهي تتضمّن معنى لست بوكيل. وأما سورة الإسراء فقد ذُيّلت بقوله تعالى : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾ [الإسراء: ١٥]. وكان هذا التذييل الأليق بالسياق لأنه سُبق بقوله تعالى ﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا﴾ [الإسراء: ١٤] وهذا في الآخرة، ولهذا حسن التذييل ببيان العناية الربانية إثر بيان آثار الهداية والضلال على أصحابها[٦٠] ، وكأنّ هذه الصيغة جاءت تقريراً لحال الناس في اليوم الآخر بأنه ﴿ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَلِنَفۡسِهِۦۖ

---

[٥٨] انظر ابن عاشور، محمّد الطاهر، التحرير والتنوير، دار سحنون، تونس،ج:٢٤،ص:٢٢

[٥٩] انظر المصدر السابق،ج:٢٤،ص:٢٢٢

[٦٠]انظر الآلوسي، روح المعاني، المجلد: السادس، ج: ٨ ،ص: ٣٥

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٩٢٦ - ٩٨٧ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

وَمَن ضَلَّ .....﴾ [الزمر: ٤١] ، وليس لحالهم في الدنيا، ولهذا لم تعُد هناك حاجة للتنبيه على عدم مسؤولية الرسول – ﷺ– عن اختيارهم؛ لأنّ الاختيار قد تمّ و انتهى والله اعلم .

والعبارة ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] تشير ضمناً بلا شك لوظيفة الرسول، لكن لم يصرّح بها لعدم نفع التصريح بها في هذا الموضع.

كما يلحظ في هذه المواضع الأربعة التنبيه على لطف الله بالعباد بشأن الهداية والضلال، ومن معالم هذا اللطف:

١- التنصيص على ذكر اسم الله ب (الرب) تارة مضافاً إلى ضمير المخاطبين في سورة يونس ﴿ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ [يونس: ١٠٨] ، للتنبيه على أنه إرشاد من الذي يحب صلاح العباد ويدعوهم إلى ما فيه نفعهم.[٦١] وتارة مضافاً إلى البلدة (مكة) ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَـٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا ﴾ [النمل: ٩١]. فاسم الرب يطلق في اللغة على الملك والسيد المربي والمنعم.[٦٢] مع الإشارة أنه يظهر من اللطف في كلمة (ربكم) أكثر مما يظهر في كلمة (رب هذه البلدة)، وذلك لأنّ سياق الأولى جاء بعد ذكر الفئة التي آمنت من قوم يونس –عليه السلام – وانتفعت بإيمانها ﴿ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: ٩٨] . كما جاء في سورة يونس على هذا النحو تلطّفاً بالنبي –ﷺ–؛ لأن الآيات خطاب له ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ....﴾ [يونس: ١٠٨] .

أما في سورة النمل فقد كان السياق فيها سياق التشنيع على الكافرين والضّالين ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ﴾ [النمل: ٨٠]...﴿وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِى ٱلْعُمْىِ ﴾ [النمل: ٨١]...

---

(٦١) انظر ابن عاشور،التحرير والتنوير، ،ج:١٠، المجلد الخامس،ص:٣٠٨

(٦٢) انظرابن منظور، جمال الدين مُحَمَّد بن مكرم، لسان العرب، دار الفكر بيروت–لبنان، المجلد الأول، ص:٣٠٤

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٩٢٦ - ٩٨٧ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

﴿۞وَإِذَا وَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِمۡ﴾ [النمل: ٨٢]... ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبۡتُم بِـَٔايَٰتِي وَلَمۡ تُحِيطُواْ بِهَا عِلۡمًا أَمَّاذَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [النمل: ٨٤] ، ولهذا جاء بالرب -سبحانه وتعالى- مضافاً إلى البلدة وكأنّ في هذه الإضافة تعريض بكفرهم بعد إنعامه عليهم بحرمة بلدهم.(٦٣)

٢- التنويه بلطف الله من خلال إرسال الرسل، وقد صرّح بذلك في موضع الإسراء ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾ [الإسراء: ١٥]

٣- الجمع بين الآيات الكونية والإخبار عن أحوال الأمم السابقة، والتبسط في بيانها إعلاناً للرغبة في إيمانهم ونجاتهم من العذاب.

وأشدّ المواضع في الوقع على السامع (موضع سورة الزمر)؛ لأنّ المقام مقام وعيد، حيث سُبقت هذه الآية بقوله تعالى ﴿قُلۡ يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٣٩ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٌ﴾ [الزمر: ٣٩-٤٠] حتى يأخذ هذا الوعيد مأخذه من النفوس؛ لأنّه في سياق بيان تكذيبهم للرسول- ﷺ- و لهذا السبب تُرك القصر هنا (يهتدي لنفسه) لأنّ المقام تنويه بأهل الضلال وشرهم وتفصيل في أحوالهم، في مقابل الإجمال الشديد في ذكر المهتدين.

ويُلحظ اختلاف الصيغة في سورة النمل ﴿ وَمَن ضَلَّ فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ﴾ [النمل: ٩٢] قال بعضهم رعاية لفواصل السورة(٦٤) . وقيل الجواب محذوف أي فوبال ضلاله عليه، وأقيم إنما أنا من المنذرين مقامه لكونه كالعلة له(٦٥). وحذف كلمة (فعليها) جاء لنكتة تتعلق بالسياق، حيث إن الآية واردة على لسان النبي -ﷺ- ، والنكتة هنا

---

(٦٣)- انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج :١٠، المجلد الخامس،ص:٣٠٨

(٦٤)- انظر الإسكافي، أبو عبد الله محمد الخطيب، درة التنزيل وغره التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، ص ١١٧

(٦٥)انظر الآلوسي، محمود الألوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الكتب العلمية،بيروت-لبنان،ط:٢، ٢٠٠٥م، المجلد السابع،ج:١٠،ص:٢٤٩

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٩٢٦ - ٩٨٧ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

الإشارة إلى حرص الرسول -ﷺ- على هداية الناس، وأنّ نفسه كانت تتوق إلى ذلك بشدة، وكان القرآن يهوّن عليه أسفه على عدم حصولها في كثير من المواضع مثل ﴿ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ ﴾ [فاطر: ٨] ﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ .....﴾ [البقرة: ٢٧٢] فكأنما صرّحت الآية بفائدة الهداية دون ضرر الضلال إشعاراً بهذا الحرص، و إظهاراً لما يعتمل في نفس النبي -ﷺ-. والناظر في هذه الآيات واختلاف أزمان أفعالها في جملة الشرط بين الماضي والمضارع (...اهتدى يهتدي) ، (ضلّ، يضلّ) وهذا مخالف للأصل، ولبيان ذلك لابد من تقرير أمور منها ١- أنّ أداة الشرط الجازمة تجعل زمن شرطها وجوابه مستقبلاً خالصاً[٦٦].

٢-الصيغ الفعلية المذكورة في هذه الآيات (شرطاً أو جزاء) لا يراد بها زمن بعينه، بل مطلق الزمان. فالمراد ثبوت الحدث لا ثبوت زمانه[٦٧]

وجاءت المخالفة هنا بين فعل الشرط وجوابه لأمور:

١- عبّر بالفعل الماضي (اهتدى ضل) للدلالة على أنّ الهداية والضلال حين تحلّ بنفس فإنها تتمكّن منها وتتحقّق فيها؛ لأنّ الماضي أبلغ وأوكد في تحقيق الفعل وإيجاده[٦٨] ويصعب تغيير حال النفس في إحداهما إلى الأخرى؛ لأنها ليست عارضاً يعرض للنفس بقدر ما هي حالة مستمرة في النفس يحصل بجهاد مبذول.

٢- وجاء الفعل المضارع إرادةً؛ لأن يجدد المرء حاله دائماً، فإن كان ضالاً لعلّه يراجع حالته فيهتدي، وإن كان على هداية فيزداد هداية حتى يبلغ مرتبة الكمال، وهو مصداق قوله تعالى

٣- ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ﴾ [محمد: ١٧]

٣. كما أنّ هذه المغايرة بين فعل الشرط وجوابه يدفع المتلقّي إلى الانتباه والتفاعل مع النص القرآني[٦٩] ، فلو كانت الأفعال على حالة زمنية واحدة لم يسترع هذا أذن السامع بقدر ما تسترعيه المخالفة بين أزمانها.

---

[٦٦] انظر حسن، عبّاس، النحو الوافي، دار المعارف،-مصر،ط:٣، ج: ٤ صفحه ٤٢٢

[٦٧] انظر سليم، السيد إبراهيم، التوافق الزمني في الجمل الشرطية، بحث منشور في مجلة العلوم العربية، العدد:١٤٣٩،٤٩هـ، صفحه ٤٣

[٦٨] انظر سيبوكر، إسماعيل الحاج عبد القادر، الالتفات في القرآن الكريم،ط:١،دار المعتز،الأردن-عمان،٢٠١٧م، ص:١٢٧

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٩٢٦ - ٩٨٧ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

٤. هذا الانتقال من الزمن الماضي إلى المضارع أضفى دلالة الزمن المفتوح و إطالة زمن الحدث[٧٠] وكذلك أمر الهداية والضلال، فلا يمكن أن يتوقف الإنسان فيهما عند حد معين، بل يظلّ يتبع سبلَ الهداية مراحل عمره كلها حتى يُكتب من الذين اهتدوا، والمقصود أن يواظب عل الاهتداء[٧١]، والمواظبة طريق للتحقيق[٧٢]. كما أنّ هذا الزمن المفتوح يعطي دلالة الفسحة الزمانية أمام العبد للتوبة وفي ذلك باعث على العمل وتدارك الذنوب.

ومما يسترعي النظر اختيار الصيغة في الفعلين (اهتدى) و(ضلّ) حيث إنّ صيغة اهتدى الصّرفية جاءت على وزن (افتعل) الذي يدلّ على قوّة الفعل أو المبالغة فيه[٧٣]، وهذا المعنى مراد من الفعل (اهتدى)، فالهداية لا تتأتّى عبثاً، وإنما عن نظر وجهاد، كما أنّ هذه الصيغة الصرفية تدل على المطاوعة[٧٤] وهذا ظاهر في الفعل اهتدى، إذ فيها مطاوعة للمهديّ فيوحي أنّ له هادياً[٧٥]، وأما الضلال فمن النفس. وحتى معنى المطاوعة في اهتدى مردّه إلى قوة الفعل وقوة المطاوعة فيه. والمراد بالمطاوعة مطاوعة الفعل الثلاثي أي هديته فاهتدى.[٧٦]

وأما الآية الخامسة فقد جاءت في سياق خاص في سورة سبأ، التي ابتدأت بحمد الله على جليل نعمه، وقد أخذت هذه السورة على عاتقها إبطال حجج المشركين في إعراضهم عن دعوة النبي -ﷺ-.[٧٧] ودخلت في حوار فكري طويل

---

[٦٩]- انظر الهتاري، عبد الله ، تحولات الأفعال في السياق القرآني وأثرها البلاغي، مجلة الدراسات الاجتماعية ،العدد ٢ يوليو ديسمبر ٢٠٠٦ ميلادي،ص:١٢

٣- انظر المصدر السابق، ص١٢

[٧١] انظر الجرادات، خلف، الترادف الدلالي بين صيغة افتعل وتفاعل، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها المجلد ٩ العدد أربعه ١٤٣٤هجري كانون أول ٢٠١٣ ميلادي، ص:١١٧

[٧٢] - انظر بزيو، أحمد، خصائص الأسلوب في سورة النمل، ص:٢١٨

[٧٣] - انظر الجرادات، خلف، الترادف الدلالي بين صيغة افتعل وتفاعل، ص:١١٧

[٧٤]- انظر عضيمة، مُحَمَّد عبد الخالق، دراسات لأسلوب القرآن الكريم قسم ٢ جزء ١ ، دار الحديث القاهرة، ص: ٥٠٨

[٧٥] -انظر ابن عاشور ، التحرير والتنوير، ج: ٥ ،ص: ٢٤٠

[٧٦] -انظر كشنة، عثمان مُحَمَّد كبير، الفعل الثلاثي المزيد بحرفين ودلالته في القرآن، دراسة صرفية إحصائية، مجلة العلوم الإنسانية، مركز أهل البيت لتحفيظ القرآن،مجلد:١٨، ٢٠١٧م.

[٧٧] - انظر أبا موسى، مُحَمَّد مُحَمَّد، من أسرار التعبير القرآني دراسة تحليلية لسورة الأحزاب، دار المنهل ٢٠١٢ م. صفحه ٤٧

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٩٢٦ - ٩٨٧ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

وعميق بادرت فيه إلى إبطال حججهم الواحدة تلو الأخرى، واستمر هذا الحوار حتّى أدخلت النبي -ﷺ- في مواجهة مباشرة معهم، وكأنه بلغ السيل الزبد من شدّة بطلان أقوالهم في حق النبي -ﷺ- وفي شأن القرآن، وكأنّ هذه المواجهة بينه -ﷺ- وبينهم لم تترك لهم بعدها خيار ولا حجة، كما أنّ فيها إيماءً إلى عدم انتفاعهم[٧٨] بدلالة ذكر الفزع والأخذ ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [سبأ: ٥١]. كما أنّ فيها تسلية للنبي -ﷺ- بأنّ الله قادر عليهم متى ما شاء عذّبهم وأنزل بهم ما يستحقون. و يظهر للباحثين أنّ هذه الآية جاءت تسدّ ثغرة يمكن أن تتسلّل إلى نفوس السامعين عن سوء فهم، كأن ينسب الهداية إلى نفسه ، فتعلمنا هذه الآية أن نسبة الهداية في قوله تعالى (يهتدي لنفسه) هي نسبة نفعها وآثارها لا نسبة ذاتها. أي إن هذه الآية عُنيت بتعليم النبي -ﷺ- وأفراد أمّته داخلون في هذه الآية،[٧٩] الأدب الرفيع في أن ينسب الإنسان السوء إلى نفسه، وينسب الخير إلى ربه. ويظهر لطف هذه المقابلة بين الهدى والضلال في هذه الآية بين حرفي الجر (على،ب) إذ دلّ لفظ (على) على معنى اللام في الثانية، فكأنه قيل إن ضللت فإنما أضلّ بسبب نفسي على نفسي[٨٠]، " فكل ما على النفس كالضلال هو بها، أي إنّ كل ما هو وبال على النفس وضار لها هو بها وبسببها؛ لأنّ النفس أماره بالسوء" [٨١]. وفي في هذه الآية جُعل ضلال النبي (وحاشاه) كضلال قومه، وأما اهتداؤه لم يكن كاهتدائهم، وإنما هو بالوحي المبين[٨٢]. فيتبين أنّ اهتداء النبي -ﷺ- أرفع درجات الهداية؛ لاتصاله بالوحي مباشرة، ولذلك وُصف الوحي بالمبين، فكان حقاً عليهم أن يتبعوه؛ لأنه رسول هذا الوحي.

---

[٧٨]- انظر القونوي، عصام الدين إسماعيل الحنفي، حاشيه القونوي على تفسير الإمام البيضاوي، دار الكتب العلمية، ٢٠٠١ م، ج:،١٥ صفحه ٥٤٤

[٧٩] انظر أبا حيان، مُحَمَّد بن يوسف، تفسير البحر المحيط، تحقيق: عادل عبد الموجود، علي مُحَمَّد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ج: ٨ ،ص: ٢٧٢

[٨٠] انظر الرازي، الإمام مُحَمَّد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر ،مفاتيح الغيب، ط:١، دار الفكر، لبنان – بيروت، ١٩٨١م،ج:٢٥، ص: ٢٧٢

[٨١] – الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف، ج:٢٢،ص:٨٧٨

[٨٢]- انظر الرازي،مفاتيح الغيب، ج:٢٥، ص: ٢٧٢

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٩٢٦ - ٩٨٧ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

وقد خالفت هذه الآية بقيه الآيات في تقديم الضلال على الهدى، ويظهر أنّ هذا التقديم كان؛ لأنّ اعتقاد ضلال النبي -ﷺ- في نفوس المشركين أقرب إليهم من اعتقاد الهداية، ولهذا ابتدأ بالأقرب في نفوسهم وهو الضلال.

كما جاء تذييل هذه الآية مختلفاً عن تذييل أخواتها حيث ذُيّلت بقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبأ: ٥٠]؛ لأنّ هذا التذييل جاء ليسدّ ثغرة أخرى يمكن أن تتسلل إلى فهم السامع خطأ، بأنّ الهداية يمكن ادّعاؤها؛ لأنّ الله تعالى يُدرك قول كلّ ضال ومهتدي وفعله وإن أخفاه[٨٣]. كما يثير اسم القريب الفزع في نفس السامع من أنّ الضالين يأتيهم الله من قرب في طمأنينتهم،[٨٤] حيث ظنوا أن يتركهم الله لضلالهم.

وفي هذا التذييل تسلية للنبي -ﷺ- بأنّ الله يسمع كلّ أقوالهم الباطلة، والتي أوردتها هذه السورة مثل ﴿ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمۡ عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُكُمۡ وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ مُّفۡتَرًىۚ ﴾ [سبأ: ٤٣] فلا يغيب عن سمعه -عزّ وجل- من باطلهم شيء، فلا تحزن، قريب منك أو منهم أي قادر على أخذهم متى ما شاء.

المطلب الثالث: قوله تعالى : آية الإحسان

﴿إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا﴾ [الإسراء: ٧]

جاءت هذه الآية الكريمة في أوائل سورة الإسراء المكية[٨٥]، ويتناول سياقها شيئاً من قصص بني إسرائيل بما يتعلّق بالمسجد الأقصى وبإفسادهم في الأرض ، وهو سياق الآية التي بين أيدينا. ومن كمال حسن هذه الآية أنها واقعة في سورة

---

[٨٣] انظر طنطاوي، محمّد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار السعادة،٢٠٠٧م، مجلد:١١،ص٣٠٩

[٨٤]- انظر أبا السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج:٧،ص٣٥

[٨٥]- ١ انظر الزركشي، الإمام بدر الدين أبو عبد الله محمّد بن بهادر ، البرهان في علوم القرآن، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا دار الكتب العلمية بيروت لبنان صفحه ١١٨

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٩٢٦ - ٩٨٧ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

الإسراء، و أنها تسري بالقارئ من كتاب موسى ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الإسراء: ٢] إلى كتاب هذه الأمة ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩] أي أنها جاءت فاصلة بين الكتابين، وكأنها تأمر السامعين برحلة إسراء قلبية من كتاب بني إسرائيل إلى القرآن الكريم، تصديقاً لرحلة الإسراء المادية.

ومن طريف الملاحظة أنه جاء في نهاية الجزء الأول من السورة الذي يتحدث عن الكتابين كتاب بني إسرائيل والقرآن الكريم قوله تعالى ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] ،و كأنما جعلت آيات الاهتداء إلى الإيمان بالقرآن الكريم هو مصداق الإحسان إلى النفس، وأنّ الكفر هو مصداق الإساءة اليها.

ولهذا فإنّ قوله تعالى ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ .....﴾ [الإسراء: ٧] يتعلق بإقبال أمة بني إسرائيل على دين مُحَمَّد -ﷺ-.[٨٦] ومما يؤكد هذا الرأي فاتحة الإسراء ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ...﴾ [الإسراء: ١] كما يؤكده مجيء قوله تعالى بعد إنذار بني إسرائيل ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩] . ففصل هذا الخطاب عن الإسلام و أمة الإسلام بعثرة لروابط السورة وتشتيت لمحاورها.

وقد ذهب العلماء في تفسير قوله تعالى (إِنْ أَحْسَنتُمْ ...) مذاهب كثيرة مؤداها واحد "والمعنى أنّكم بعملكم تُؤخذون لا يكون ذلك ظلماً ولا تسرّعاً" [٨٧]. وهو ما يناسب توسّط الآية الكريمة الوعدين. وتكون عودة الإحسان والإساءة هنا متمثّلة بعودة الجزاءين في الوعد الأول والثاني. فحذّرهم في الثاني مما وقعوا فيه في أول وعد. ويكون القرآن بذلك قد فتح باب التوبة أمام الجيل الجديد منهم[٨٨] . وقد تناولت الآيات توبتهم في صورتي الإحسان والإساءة ترغيباً لهم، لما تقرّر في العقول أنّ

---

[٨٦]- انظر نوفل، د.أحمد إسماعيل إبراهيم ، تفسير سورة الإسراء دراسة تحليلية موضوعية،٢٠١٤، جمعية المحافظة على القرآن الكريم.م،ص:٨٨.

[٨٧] - ابن عطية، عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي مُحَمَّد، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ج:٣، ص:٤٤٠.

[٨٨]-انظر ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، المجلد: السادس،ج:١٥،ص:٣٣

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٩٢٦ - ٩٨٧ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

الإحسان إلى النفس حسن مطلوب.[٨٩] وذكر الإساءة تنفيراً لهم من التراخي عن التوبة لما تقرر في العقول من قبح الإساءة.[٩٠]

وفي اقتران الجمل بـ (إن) الشرطية دلالة على إعراضهم عن هذه التوبة، أو أنّهم إلى الإعراض أقرب، كما تدل على عدم انتفاعهم[٩١] من هذه الفرصة التي منحهم الله إياها، بعد أن أكمل الدين وأبان لهم المنهج السليم، وتركهم القرآن أمام مسؤولياتهم التامة في الاختيار.[٩٢] وعبّر بالفعل المضارع (يهتدي) إمداداً لهم في هذه الفسحة من التوبة.

وخلاصة ذلك أنّ الإحسان والإساءة كلاهما مختص بأنفس المخاطبين، لا يتعدى النفع والضرر إلى غيرهم[٩٣]. وقد جاءت في سياق الجملة الشرطية لتقرّر قاعدة عامة، وليست خاصة بقوم دون قوم، لما تقرّر في اللغة أن دخول إن الشرطية يصرف زمن الجملة الشرطية إلى الزمن المستقبل.[٩٤] كما رأى المفسرون أنّ عودة الإحسان والإساءة إلى النفس هنا عودة دنيوية بدفع السوء عنهم، وتنمية أموالهم وزيادة ثروتهم، وعودة أخروية بنجاتهم من النار وفوزهم بالجنة[٩٥].كما رأى بعضهم أنّ هذه الآية تدلّ على أن رحمة الله تعالى غالبة على غضبه، بدليل إعادة كلمة أحسنتم مرتين ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ .....﴾ [الإسراء: ٧]، وأمّا الإساءة فقد ذكرها مرة واحدة ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [٩٦] [الإسراء: ٧] واختلف المفسرون في معنى (لها) في قوله تعالى ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧] منهم من قال إنها بمعنى إليها أي (إلى أنفسكم تسيئون)

---

[٨٩] -انظر الرازي، مفاتيح الغيب،ج:٢٠،ص:١٤٥

[٩٠] -انظر المصدر السابق،ص:١٤٦

[٩١] -انظر الشعراوي، مُحَمَّد متولي، تفسير الشعراوي ج:١٣،ص:٨٣٥٧

[٩٢] - انظر العلواني ،جابر، إصلاح الفكر الإسلامي بين القدرات والعقبات، المعهد العالمي للفكر الإسلامي سلسلة إسلامية المعرفة الطبعة ١ ١٩٩١ ميلادي ص:٣٨

[٩٣] -انظر الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف،ج:١٥،ص:٥٩٠.

[٩٤] - انظر القواقرة، مُحَمَّد حسن، الزمن الماضي في اللغة العربية دراسة لسانية، ص: ١١٨

[٩٥] - انظر الطبري ، جامع البيان، المجلد الثامن،ص:٣٠.

[٩٦] - انظر الرازي، مفاتيح الغيب، ج:٢٠،ص:١٤٦

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٩٢٦ – ٩٨٧ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

[٩٧]، والمقصود تنتهي الإساءة إلى النفس، أو بمعنى (على) أي وباله عليها، وإنما ذكرها باللام ازدواجاً.[٩٨] وهذا لا نميل له؛ لأننا لا نقول بتناوب الحروف، أو اعتبار اللام (للتعدية) يقال أحسنت لفلان .[٩٩]، أو الاختصاص[١٠٠]

ويظهر أنّ أولى الأقوال من قال بالاختصاص، والمعنى أنّ كلاً من إحسانكم وإساءتكم يختص بأنفسكم دون أن يلحق غيركم، وهيُ سنّة الله الجارية أنّ العمل يعود أثره وتبعته إلى صاحبه فهو كقوله تعالى

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ﴾ [البقرة: ١٣٤]

لأنه لا يوجد حرف يحلّ مكان حرف في كتاب الله عز وجل، فلا يمكن أن تفيد (اللام) معنى (على)، أو (إلى)[١٠١] دون معنى خاص أتت من أجله اللام.[١٠٢]. وقد جاء قوله تعالى ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩] يبين أنّ اتباع هذا القرآن هو طريق الإحسان المذكور في الآية الكريمة.

وتتضمن هذه الآية تهديداً ووعيداً يظهر في نواح عدة في الآية؛ كورود (إن) الدالة على التشكيك، وفي هذا إشعار لهم بأنّ الله يعلم عدم نيتهم في الاستجابة. وإيثار الفعل الماضي الدال على تحقق العقاب [أساءوا)، والتفصيل في وصف عقابهم.

---

[٩٧] الطبري، مُحَمَّد بن جرير ، جامع البيان ، المجلد الثامن،ص:٣٠

[٩٨]–انظر البيضاوي ، القاضي ناصر الدين أبي سعيد عبدالله بن عمر بن مُحَمَّد الشيرازي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، كلية الدعوة الإسلامية – طرابلس،ج:١،ص:٥٦٧

[٩٩]–انظر ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، المجلد: السادس،ج:١٥،ص:٣٣

[١٠٠] –انظر الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف،ج:١٥، ص:٥٩٠

[١٠١] انظر البدخشي، مُحَمَّد بن الحسن البدخشي، وشرح البدخشي مناهج العقول ومعه شرح الآسيوي نهاية السول لجمال الدين الآسيوي كلاهما شرح منهاج الوصول في علم الأصول تأليف البيضاوي ٦٨٥ هـ، مطبعة مُحَمَّد علي ، جزء ٣ ، صفحه ١٢٨،.

[١٠٢]انظر عبد ،سعد بن خلف، إيثار حروف الجر بعضها على بعض في لغة القرآن، مجله جامعه الأنبار للعلوم الإسلامية، ص: ٢٧١

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٩٢٦ - ٩٨٧ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

وجاء الخطاب لبني إسرائيل بهذه الصيغة ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ [الإسراء: ٧] التي تربط الإحسان والإساءة بالنفس تناسباً مع طباعهم المجبولة على حب الدنيا وحب النفس.[١٠٣] لعل هذا الخطاب يستجيش فيهم طباعهم هذه، فيؤمنون حرصاً ألا يعرّضوا أنفسهم للهلاك مره أخرى .

المطلب الرابع: آيات الشكر والكفر

أ – ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠]

ب - ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان: ١٢]

جاءت هاتان الآيتان في سياق قصصي مكي، حيث وردت الآية الأولى في سورة النمل في سياق الامتنان على سليمان–عليه السلام– بأن أتاه عرش ملكة سبا بطرفه عين. ووردت الثانية في سياق الامتنان على لقمان–عليه السلام– حيث آتاه الله الحكمة وكأنّ في ذلك تنبيهاً للسامع أنّ الشكر يجلبُ لهم مثل ما جلب لسليمان –عليه السلام– من القوة والتأييد، ومثل ما أعطي لقمان من الحكمة. ولأنّ الآيتين يدور محورهما حول الشكر والكفر فلابدّ من تعريف الشكر ليظهر معنى الكفر.

الشكر(لغة) : "الثناء على الإنسان بمعروف يوليكه" [١٠٤] .

---

[١٠٣] – انظر عودة، أحمد، سمات اليهود في القرآن الكريم ، جمعية القرآن الكريم للتوجيه والإرشاد ،ط: ١، ٢٠١١، ص : ١٢٤

[١٠٤] – ابن منظور، جمال الدين محمّد بن مكرم، لسان العرب، دار الفكر بيروت–لبنان،ج:٤، ص:٤٩٠.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٩٢٦ – ٩٨٧ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

وقال ابن منظور:" الشكر لا يكون إلا عن يد" [١٠٥]. وقال الراغب: " الشكر تصوّر النعمة و إظهارها، وقيل : هو مقلوب عن الكشر أي الكشف، ومضادّه الكفر، وهو نسيان النعمة وسترها" [١٠٦] وبناء على هذه المعاني نستظهر المعنى الحقيقي لقوله تعالى ﴿ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ ﴾ [النمل: ٤٠]، ولأنّ الشكر لا يكون ابتداءً، وإنما هو إظهار لما هو موجود، فلا فضل للإنسان بعبادة الشكر سوى أن يتقبل الله شكره، فيزيده الله من فضله، ولهذا قيل: " الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة" .[١٠٧] ولذا ارتبط نفع الشكر بالنفس؛ لأنه " يحطّ عنها عبء الواجب ويصونها عن سمة الكفران، وترتبط به النعمة ويستمد المزيد" [١٠٨].

والشكر هنا عبادة الله وحده، والكفر من عبد غير الله[١٠٩]، وهو ما يتفق مع مكية نزولها، ويدلّ على ذلك أنّ أوّل وعظ قاله لقمان لابنه، بعد أن أمره الله بالشكر: ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان: ١٣]. ثم شرع في أمور أخرى كالوصاة بالوالدين، وإقام الصلاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر، إلى الأمر بعدم الإعراض عن الناس وعدم التكبر والقصد في المشي وخفض الصوت، مما يدلّ على أنّ الشكر ينسحب على كل تصرفات الإنسان وسلوكياته. ويؤكد ذلك ورود الشكر في صيغة جمله شرطية تدل على عموم الحكم[١١٠]. وكل شكر رأسه توحيد الله بدليل أنّه ربط في مواضع أخرى بين شكر الله على طيبات الطعام و إفراد الله بالعبادة إذ قال تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨].

---

[١٠٥]– المصدر السابق، ج:٤، ص:٤٩٠ .

[١٠٦] – الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن مُحَمَّد بن المفضل، معجم مفردات ألفاظ القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ص:٤٨٦.

[١٠٧] – ابن قيم الجوزية، أبو عبدالله مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب،، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ضبطه عبد الغني مُحَمَّد علي الفاسي، دار الكتب العلمية،بيروت–لبنان،ج:٢، ص:١٨٢.

[١٠٨]–الزمخشري، الكشاف ،ج:١٩،ص:٧٨٤.

[١٠٩]–انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، المجلد:٨،ص:٢٧٢.

[١١٠] – انظر الشمسان ، إبراهيم الجملة الشرطية عند النحاة ،ص: ١٢٣

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٩٢٦ - ٩٨٧ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

ويلحظ تحوّل أفعال الشكر في الآية الأولى من الماضي إلى المضارع ﴿ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ﴾ [النمل: ٤٠]، وهذا يشير إلى توسيع الدلالة الزمنية التي تبدأ من التكليف إلى الانتهاء. مع التكرار اللفظي للفعلين الدال على التأكيد.(١١١) كما أنّ إيراد فعل الشكر في الآية الأولى بالماضي في فعل الشرط والعدول عنه إلى المضارع في جوابه يدلّ المبالغة في تحقيق الحدث،(١١٢) إذ ينقل السامع من سرد فعل قد مضى إلى إضفاء الحيوية والحياة على ذلك الفعل بالإتيان بالمضارع. إضافة لما يدلّ عليه الفعل المضارع بصيغته وتكراره مرتين على جدارة الشكر بالتجديد،(١١٣) والديمومة في المواظبة، كما أنّ في ذلك إشعار بأنّ الشكر ينفع مع الاستمرار.

ويلحظ الإتيان بالكفر على هيئة الماضي فقط في الآيتين؛ للإشعار بأنّه لا يصح ولا ينبغي من أي عاقل، بل عليه أن يهجر ذلك هجراً تاماً. وقد جاءت عودة منفعة الشكر على النفس بطريق القصر ﴿ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ﴾ [النمل: ٤٠] لأنّ آثار الشكر كمالات حاصلة للشاكر لا تنفع المشكور شيئاً؛ لغناه -سبحانه وتعالى- عن شكر الشّاكرين. وفي ذلك القصر تعريض وإغراء بالمبادرة إلى شكر النعم.(١١٤) والترفّع عن ذكر عقوبة الكفر دلالة تؤكد هذا التعريض(١١٥). والمتأمل في هذه الآية الكريمة يرى أنه قد اختلفت صيغتها عن باقي الصيغ بأنها ربطت منفعة الشكر بالنفس، ولم تربط المضرة بها، حيث قال تعالى ﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان: ١٢] ، ﴿غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠] ولم يقل ومن كفر فعليها -كما هو المعهود-. وهذا يدلّ على أنه سبحانه لا يقطع عن الإنسان نعمه بسبب الإعراض عن الشكر، ويعطي العباد رغم جحودهم.(١١٦) وهو ما يليق بأسماء الله تعالى الواردة في تذييل الآية الكريمة. وهذا ما يُسمى في اللغة الشرط

---

(١١١) - انظر بزيو، أحمد ، خصائص الأسلوب في سورة النمل، ص: ٨٥

(١١٢)- انظر قواقرة ، محمَّد حسن الزمن الماضي في اللغة العربية ، ص:١١٧.

(١١٣) -انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير،المجلد:الثامن،ص:١٥٣.

(١١٤) - انظر الديلمي عدنان مهدي الإعجاز البلاغي في القصة القرآنية دار غيداء للنشر تلاع العلي ٢٠١٣ م، ط: ١ ، جامعة الموصل- العراق، ص: ٤٢٧.

(١١٥) -انظر المصدر السابق،ص:٢٤٧

(١١٦)-انظر الرازي، مفاتيح الغيب، ج:٢٤، ص:٥٧٥.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٩٢٦ - ٩٨٧ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

الشكلي أو الشرط المجازي، وهو ما لا يتوقف جواب الشرط فيه على حصول فعله.[١١٧] ويُلحظ تذييل الآية الأولى بقوله تعالى ﴿ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ لأنّ الكرم صفة تتعلق بالأفعال، وهو هنا الإتيان بالعرش. وفي الثانية ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾؛ لأن الحميد صفة تتعلق بالقول وهو الحكمة. فجاء اسم الكريم ليُعلم المخاطب بهذه السعة. كما جاء باسم الحميد ليُعلمه أنّ المحامد ثابته لله لا تزيد بشكر البشر، ولا تنقص.

وخلاصة ما يقال في هذه الكريمة أنه قد جاء ربط الشكر بالنفس تطهيراً لها من الكبر، وتذكيراً لها بالمنعم الأول – سبحانه وتعالى–، وإبطال لمعهود البشر في الظنّ أن السعة تدل على حسن الموسّع عليه، والضيق يدل على نقيض ذلك، بل كل ذلك ابتلاء من الله –عز وجل وهذا مصداق قول سليمان ﴿ لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ﴾ [النمل: ٤٠].

المطلب الخامس: آيات العمل الصالح والإساءة

١ - ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِأَنفُسِهِمۡ يَمۡهَدُونَ﴾ [الروم: ٤٤]

٢-﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]

٣- ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ﴾ [الجاثية: ١٥]

لقد جاءت الآيات الثلاث في سور مكية، وهي الروم وفصّلت و الجاثية، فأمّا الروم فقد وردت في سورة بدأت تبني جسور التواصل مع الأمم الأخرى من خلال تصوير صراع الفرس والروم،. فجاء سياق هذه الآية التي بيننا ليحدّد البوصلة الحقيقية للعالم في ظل جدل العقائد المختلفة بتوجيهها إلى هذا الدين، حيث قال تعالى ﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ ٱلۡقَيِّمِ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۖ يَوۡمَئِذٖ يَصَّدَّعُونَ﴾ [الروم: ٤٣]. ثم جاء قوله تعالى ﴿مَن كَفَرَ

---

[١١٧] – انظر فرهود علي عبد الفتاح الحاج التعليق الشرطي في أفعال الكينونة المركبة في النص القرآني دراسة تحليلية، كلية الدراسات القرآنية، جامعة بابل، مجله كليه التربية الأساسية للعلوم التربوية، عدد ٢٨ اب ٢٠١٦ ص ٦٣٦

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٩٢٦ - ٩٨٧ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِأَنفُسِهِمۡ يَمۡهَدُونَ﴾ [الروم: ٤٤] وأما آية سورة فصّلت، السورة التي اعتنت عناية الظاهرة في بيان حقيقه القرآن وفصاحته ، ، ثم جاء في مطلع السورة ﴿كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [فصلت: ٣] ثم ورد في سياق الآية المعنية هنا ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓ....﴾ [فصلت: ٤٤] ثم تلاها قوله تعالى ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَٱخۡتُلِفَ فِيهِۚ﴾ [فصلت: ٤٥] ، ثم جاء قوله تعالى ليغلق باب الاختلاف ﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦] ، ثمّ آية الجاثية التي ذكرت جزءاً من عناد المشركين تجاه الدعوة ،فردّ على عنادهم وظلمهم بإحقاق ميزان العدل ﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ﴾ [فصلت: ٤٦] .

فيكون بذلك قد جعل عنادهم مردوداً عليهم، بل وأمر المؤمنين فوق ذلك بترك مجاراتهم في أذى كلامهم وأفعالهم،[١١٨] حيث قال تعالى في الآية السابقة: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجۡزِيَ قَوۡمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [الجاثية: ١٤]. ثم جاءت البوصلة التي وردت في سورة الروم، بوصلة الحق في ظل جدل العقائد فقال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[الجاثية: ١٨] .

وبناء على ما سبق يظهر أن الآيات الثلاث جاءت تسلية للنبي -ﷺ- وللجماعة المؤمنة في كل مكان وزمان، وتثبيتاً لهم بهذا القانون الإلهي، وتطميناً لهم بتحقّق العدالة الإلهية في الجزاء.كما نبهت الآيات الثلاث على عدالة هذا القانون صراحة أو إشارة؛ صراحة في فصلت حيث قال في تذييل الآية: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [فصلت:٤٦].

وإشارة في الروم والجاثية، ففي الروم قال في تذييل الآية﴿ فَلِأَنفُسِهِمۡ يَمۡهَدُونَ﴾ [الروم: ٤٤] وأما في الجاثية اكتفى بالتنبيه بالرجوع إلى الله ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ﴾ حيث تنصب الموازين الحق.

وقد نُعت الإيمان في الآيات الثلاث بالعمل الصالح تحريضاً للمكلف عليه، وأما الكفر إذا كان فلا معنى للعمل معه[١١٩]. وقد اختلفت آية الروم عن الآيتين الأخيرتين بتقديم الكفر على العمل، وذلك اتّساقاً مع سياقها، حيث بيّن

---

[١١٨]- انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، المجلد:العاشر،ج:٢٥، ص:٣٤١.

[١١٩] -انظر الرازي، مفاتيح الغيب،ج:٢٥،ص:١٠٦.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٩٢٦ – ٩٨٧ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

السياق أنّ الفساد قد ملأ الآفاق في البر والبحر ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١] فكان تقديم الكفر أولى لشيوع هذا الفساد، وكان لابد من تثبيت الفئة المؤمنة وسط هذه الموجات العاتية من الفساد . وأمّا آيتا فصّلت والجاثية، فقد تقدّم فيهما العمل الصالح على الإساءة؛ لأنه الأصل الذي ينبغي، كما أنّ في هذا التقديم ترجية لمبادرة الصالحات[١٢٠]. و يلحظ المتأمل لسياق الآيات الثلاث أنها واردة في إطار مخصوص من الكفر وهو الكتب السماوية، التي سمّتها بالبينات في موضعين، وبالكتاب في موضع فصلت.

وبعد هذه الدراسة للسياق يلحظ أنّ الآيات الثلاث تركت مساحة واسعة من الاختيار، فلم تذكر الجزاء صراحة لتؤكد هذه المساحة من الحرية، في مقابل تحمل كامل للنتائج، فجاءت فاء الجزاء تؤكّد هذا التحمّل[١٢١] ، وعدم ذكر الجزاء، لتذهب النفس في نفع العمل الصالح، و إحاطة الكفر بالإنسان كل مذهب. وقد ورد في سياق آية الروم قوله تعالى ﴿**فَٱنتَقَمۡنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ**﴾ [الروم: ٤٧]، فالنصر والانتقام يفسران نفع الإيمان وضرر الكفر على صاحبه.

كما يلحظ أنّه قد ذكر الكفر باسم الإساءة، والمعلوم أنّ "كل كافر مسيء ولكن ليس كل مسيء كافر"[١٢٢] ، واختيار القرآن الكريم للفظ الإساءة له علة وهي أنّ الإساءة في اللغة خلاف الإحسان[١٢٣]. ويتجلّى هذا الإحسان حينما أرسل الله إليهم الرسل والبيّنات، لكنهم قابلوا هذا الإحسان بالجحود. ويلحظ في آية الروم الإفراد في الكفر (من كفر)، والجمع في منفعة العمل الصالح (فلأنفسهم يمهدون) ذكر بعضهم أنّ في ذلك إشارة إلى قلة من كفر، و أنّ الجمع في حق المؤمنين يشير إلى كثرة قدرهم وعظمته عند الله تعالى[١٢٤]. كما يدلّ على أنّ ضرر الكفر لا يعود إلا على الكافر و لا يتعدّاه

---

[١٢٠]– انظر ابن عطية، المحرر الوجيز ،ج:٥، ص:٨٣

[١٢١]– انظر أبا سليمان، عبد الحميد أحمد ، أزمة العقل المسلم ،المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ص: ١٥٥

[١٢٢] – المصري، حذيفة مجدي، الإساءة كما يصورها القرآن دراسة موضوعية، إشراف الدكتور إبراهيم عيسى صيدم ،رسالة ماجستير الجامعة الإسلامية، غزة، قسم التفسير ٢٠١٥ م،ص:٣١

[١٢٣]– انظر ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل مُحَمَّد، لسان العرب،ج:١٣،ص:١٤١،حسن.

–[١٢٤] انظر الألوسي، شهاب الدين محمود الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، المجلد:الثامن،ج:١١،ص:٥٠.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٩٢٦ - ٩٨٧ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

إلى غيره[١٢٥]. وأمّا منفعة الإيمان والعمل الصالح لا ترجع إلى المؤمن فحسب، وإنما له و لذريّته من بعده - كما قال تعالى﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ ﴾ [الطور: ٢١]. و في جمع الأنفس هنا ﴿فَلِأَنفُسِهِمۡ يَمۡهَدُونَ﴾ [الروم: ٤٤] نكتة تتعلق بالمعنى، وهي أنّ المؤمن يحرص على ألا ينفرد بخير الإيمان.

وتظهر ورحمة الله -سبحانه وتعالى- في هذه الآية كما تظهر في كل الآيات أنه -عزّ وجلّ- اكتفى في عقوبة الكفر بالإشارة (فَعَلَيْهِ كُفْرُه)[١٢٦] ، وأما في جزاء الإيمان فقد فصّل فقال ﴿فَلِأَنفُسِهِمۡ يَمۡهَدُونَ﴾ [الروم: ٤٤]، وأتبعه بقوله تعالى مفصلاً أكثر ﴿لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [الروم: ٤٥] .

المطلب السادس: آيتا الاستغفار وكسب الإثم

﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء: ١١٠]

﴿وَمَن يَكۡسِبۡ إِثۡمٗا فَإِنَّمَا يَكۡسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾ [النساء: ١١١]

جاءت هذه الآيات الكريمة في سياق سورة مدنية قوامها تنظيم العلاقات البشرية وبناء الأسس الصحيحة لها، والانطلاق في تصحيح هذه العلاقات من وحدة الأصل الذي نبهت عليه أوائل السورة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ﴾ [النساء: ١]

وقد سبرت سورة النساء أعماق الإنسان في شأن العلاقات الإنسانية، فحرصت على إصلاح دواخلها وسرائرها، حتى لا تخطو خطوة واحدة باتجاه الاعتداء على الآخرين، فقال تعالى :

---

[١٢٥] - انظر الزمخشري،محمود بن عمر، الكشاف، ج:٢١،ص:٨٣٢.

[١٢٦] انظر الرازي ،مفاتيح الغيب،ج:٢٥،ص:١٠٦.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٩٢٦ - ٩٨٧ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ﴾ [النساء: ٣٢] وعالجت رغبة الإنسان الملحّة في تحسين أحواله، بتوجيه هذه الرغبة وإفراغها في الدعاء، وليس في النظر إلى ما عند الآخرين فقال تعالى: ﴿ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓۚ ﴾ [النساء: ٣٢]. حتى وصلت إلى أبسط نقطة في هذه العلاقات وهي اللقاء العابر فقال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآۗ﴾ [النساء: ٨٦]. وكذلك تناولت علاقة المسلمين بالأعداء في الحرب والسلم حتى وصلت إلى قوله تعالى ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠]

حيث رأى كثير من المفسرين أنّ السوء هنا هو الفعل القبيح الذي يسوء الإنسان به غيره [١٢٧]، ممّا يعني أنّ خيط سورة النساء في إصلاح العلاقات البشرية لا يزال يسري في السورة من أولها وحتى هذه الآية.

و اختلف فيمن عُني بهذه الآية، فقال بعضهم هم من وصفهم الله تعالى بالخيانة [١٢٨] في قوله تعالى:

﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْۚ﴾ [النساء: ١٠٧] ، وقيل هم الذين يجادلون عن الخائنين الذين قال الله لهم ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [النساء: ١٠٩]

ويُستبعد هذا القول؛ لأنّه لا يليق بمقام النبي -ﷺ- أن يُنسب إليه، وحملها على العموم أولى، وإن كانت نزلت في شأن الخائنين[١٢٩].وهو ما يتّفق مع كونها جملة شرطية تدلّ على العموم . و مجيء الفعل المضارع (يعمل) ،(يظلم) يدلّ على أنها حالة حادثة من حالات الإنسان، وليست حالة ثابتة، مما يقود إلى القول بأن من شروط قبول التوبة ألا يكون الذنب حالة مستمرة، ومجيء ثم في (ثمّ يستغفر الله) يدل على أنّه ليس من شروط قبول التوبة أن تكون بعد الذنب مباشرة. فكثير من العباد لا يُوفّقون إلى ذلك، وهذا رحمة من الله تعالى أن جعل العمر فسحة لهم في التوبة. ورأى البعض أن (ثمّ) هنا إشارة إلى ما بين المعصية والاستغفار من تفاوت معنوي شاسع[١٣٠]. ولا يرى الباحثان ذلك؛ لأنه لا تصلح المقارنة بين المعصية

---

[١٢٧] انظر أبا السعود، ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم،ج:٢،ص:٤٢٢.

[١٢٨] انظر الطبري، مُحَمَّد بن جرير، جامع البيان،ج:٤، ص:٢٧٣.

[١٢٩]انظر الطبري، مُحَمَّد بن جرير، جامع البيان في تفسير آي القرآن، ج:٤، ص:٢٧٣.

[١٣٠] انظر طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، المجلد:الثالث،ص:٣٠٢

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٩٢٦ - ٩٨٧ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

والاستغفار. ولذا (ثم) هنا –والله أعلم– تدلّ على التراخي الزمني لا الرتبي. والإتيان بالفعل المضارع (يستغفر) يدل على أنّ المطلوب من العبد تجديد حالته من الاستغفار، وأنه كلما أذنب يستغفر، ثم عقّب بالقول﴿ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠]. وفي اختيار لفظ (يجد) دلالة على تحقّق المغفرة[١٣١]، ودلالة على أنّ المغفرة والرحمة مُعدّان لطالبهما، مهيّآن له متى طلبهما وجدهما [١٣٢]، وفي هذا مزيد من الترجية والحثّ على الاستغفار؛ لأنّ فعل (وجد) حقيقته الظفر بشيء فأُطلق على تحقيق العفو والمغفرة على وجه الاستعارة[١٣٣]. ورأى بعضهم أنّ قوله: (يجد الله) جُعلت فيها المغفرة كالمورد يرده التائب المستغفر[١٣٤].

ويُلحظ إظهار لفظ الجلالة في موضع إضماره ﴿ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ ﴾ [النساء: ١١٠] زيادة في التأكيد على حضور الله –سبحانه وتعالى– دائماً وأبداً وإن غاب العبد بذنوبه.

و تتجلّى في هذه الآية عظمة رحمة الله بعباده، إذ قابل ترخّي العبد في توبته بمعاجلته بالرحمة والمغفرة بلا شرط ولا قيد، فلم تستثن الآية ذنباً ولا مذنباً، فلا يخرج أحد من هذه الآية قد استغفره وتاب إليه.

ويُلحظ اختلاف عودة الجزاء في هذه الآية عن الآية التي تليها ، ففي هذه الآية قال ﴿ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١١٠]، ولم يقل من يستغفر يستغفر لنفسه كما قال في الآية التي تليها ﴿ فَإِنَّمَا يَكۡسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۚ ﴾ [النساء: ١١١] ، وفي ذلك زيادة في الترجّي تليق باسم الغفور الرحيم اللذين ذُيّلت بهما الآية ، وكأنّ المستغفر يجد ما لا يتوقع أو فوق ما يتوقع ويترجّى من المغفرة، بينما في جزاء الإثم قال (عَلَىٰ نَفْسِهِ)، ولم يقل كما في الأولى يجد الله شديد العقاب، دلالة على عدل الله تعالى في مقابل رحمته. كما ترشدنا الآية إلى أنّ الاستغفار هو طريق الشفاء من الذنب.[١٣٥] وتدلّ كلمة

---

[١٣١] انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير،المجلد:الثاني،ج:٥، ص:١٩٦.

[١٣٢] انظر أبا حيان، البحر المحيط، ج:٤، ص:٤٤.

[١٣٣] انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، المجلد:الثاني،ج:٥،ص:١٩٦.

[١٣٤] انظر ابن عادل، أبا حفص عمر بن علي الدمشقي الحنبلي،اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية،بيروت–لبنان،ط:١، ١٩٩٨م، ج:٧، ص:١١.

[١٣٥]انظر شيخو ، محمَّد امين تأويل القران الكريم، جمع وتحقيق عبد القادر يحيى الشهراني، مجلد ١ صفحه ٣٢٢ .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٩٢٦ - ٩٨٧ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

(يجد) على حصول الشيء بعد بحث وضياع.[١٣٦] وكأنّ المذنب قد ضيّع بذنبه أمراً ذا بال، فوجده بالاستغفار. وقد ذُيّلت الآية باسم (الغفور الرحيم) تأكيداً على كل المعاني السابقة في الآية، وتمهيداً لرحمة المستغفر وتوطئة للجنة[١٣٧].

ولأجل كل تلك المعاني الواردة في الآية فقد قيل إنها من أرجى الآيات [١٣٨]، وفي أرجى السور؛ لأنّ سورة النساء من أكثر السور التي ورد فيها اسم الغفور[١٣٩]

﴿وَمَن يَكۡسِبۡ إِثۡمٗا فَإِنَّمَا يَكۡسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾ [النساء: ١١١]

جاءت هذه الآية امتداداً للآية السابقة ، وليست منفصلة عنها، داعية صاحب الذنب أن يبادر إلى التوبة؛ لأنّ حالة الذنب التي هو عليها، إنما هي عليه لا له، زيادة في الحض على الاستغفار.

كما جاءت تُقرّر عدالة الله -سبحانه وتعالى- في فردية المسؤولية، وكأنّها تخفف عبء ذنوبهم عن نفس النبي - ﷺ - ذلك العبء الذي دفعه لمحاولة الجدال والاعتذار عنهم.

وتشير كلمة يكسب هنا إلى تعمّد الذنب عن علم ومعرفة[١٤٠]. وقال بعضهم " أنّ الإثم جامع للسوء وظلم النفس السابقين، بمعنى أنّ وبال ذلك لاحق له لا يتعداه إلى غيره، وهو إشارة إلى الجزاء اللاحق له في الآخرة،" [١٤١] وهذا ما يليق بلحمة السياق.

---

[١٣٦] انظر جمعة، سعيد، غافر غفار غفور مقاماتها ودلالاتها في القران الكريم، جامعة الأزهر،تاريخ النشر:٢٧-١١-٢٠٠٣م، تاريخ زيارة الصفحة:٢١-٢-٢٠٢٠م. الموقع الإلكروني:http//vb.tafsir.net

[١٣٧] انظر أبا السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ،ج:٢،ص:٤٢٢.

[١٣٨] انظر جمعة، سعيد، غافر غفار غفور مقاماتها ودلالاتها في القران الكريم.

[١٣٩] ا نظر المصدر السابق.

[١٤٠] انظر الطبري، مُحَمَّد بن جرير، جامع البيان في تأويل آي القران،ج:٤،ص:٢٦٩

[١٤١] - أبو حيان، البحر المحيط، ج:٤،ص:٤٥

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٩٢٦ - ٩٨٧ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

ولاستخدام كلمة (يكسب) دلالة خاصة، حيث يظنّ آتي الاثم أنّه قد كسب شيئاً بإثمه "؛ لأنّ الكسب ما يتحراه الإنسان مما فيه اجتلاب ونفع وتحصيل حظ ككسب المال" .[١٤٢] ومعنى ﴿فَإِنَّمَا يَكۡسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ﴾ "إياها يُردي وبها يحلّ المكروه" [١٤٣] أي أنّ المكسوب من الإثم مقصور على صفة واحدة ، وهي كونه على نفس الكاسب [١٤٤].

كما أنّ تذييل الآية الكريمة ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١١١] جاء فيه اسم العليم اتساقاً مع طبيعة الذنوب التي تناولتها الآية الكريمة، حيث تناولت الذنوب التي تُؤتى سراً، وهذا ما دل عليه سياق الآية، إذ وصفهم الله تعالى ب ﴿ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ ﴾ [النساء: ١٠٧] فلفظ الخيانة لا يستعمل إلا فيما خفي عن المخون.[١٤٥] كما جاء اسم الحكيم هنا تأكيداً على كمال تدبير الله –سبحانه وتعالى–[١٤٦] لأحوال عباده مذنبين ومستغفرين.

---

[١٤٢] الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص:٤٨١.

[١٤٣] ابن عطية، المحرر الوجيز، ج:٣،ص:٢١.

[١٤٤] الميداني ،عبد الرحمن حبنكة، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ، دار القلم–دمشق، ط : ١ ، ١٩٩٦م، جزء ١ ،ص: ٤١٩.

[١٤٥]انظر ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، مجموع الفتاوى ،تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، فصل في تفسير قوله تعالى "ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم" المجلد:الثامن،ج:١٤،ص:١٩٦

[١٤٦] انظر الطبري، جامع البيان في تأويل آي القران،ج:٤،ص:٢٦٩.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٩٢٦ - ٩٨٧ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

المطلب السابع: آية البيعة

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمَا﴾ [الفتح: ١٠]

وردت هذه الآية الكريمة في سياق سورة مدنية، نزلت في السنة السادسة للهجرة، عقب صلح الحديبية[١٤٧]، والبيعة المقصودة هنا بيعة الرضوان ، وهي بيعة الشجرة، حينما استعدّ النبي -ﷺ- لقتال كفار قريش بعدما بلغه خبر مقتل عثمان، وكان ذلك قبل الانصراف من الحديبية.[١٤٨]وهي بيعة على أن لا يفروا من قريش[١٤٩] .

وتأكيداً للاهتمام بهذه البيعة، افتتحها بحرف التوكيد إنّ.[١٥٠] ويظهر للباحثين أنّه لأجل أمر هذه البيعة وأهميتها فقد قدّم النكث على الوفاء . كما يُلحظ أنه أتى بالماضي في (نكث/ أوفى) ، وأتى بالمضارع في جواب الشرط مغايراً بين أزمنة الأفعال، حتّى يستحضر المخاطب حالته، فإنّ هذا الاستحضار لصورة كل من النكث والوفاء سيكون عاملاً مؤثراً في وعي المخاطبين.

وتأكيدا على عدم تأثير نكثه على المسلمين، فقد قال تعالى ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ ﴾ [الفتح: ١٠]، أي نصرته [١٥١]. فقد سبقت نصرته -سبحانه وتعالى- نكث كل ناكث، وقد جاء في هذه الآية الحصر مرتين، مرة في ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ ، والثاني ﴿ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ ﴾ [الفتح: ١٠]، فجاء الحصر الأول تعظيماً لهذه البيعة، وجاء الحصر الثاني تحقيراً من محاولة الإضرار بها؛ لأنّ نكث العهد لا يخلو من قصد إضرار بالمنكوث، فجيء بقصر القلب؛ لقلب

---

[١٤٧] انظر المراغي، أحمد مصطفى،تفسير المراغي، دار الكتب العلمية،بيروت-لبنان،ج:٩،ص:٢٠٥.

[١٤٨] انظر أبا السعود، إرشاد العقل السليم،ج:٧،ص:٤٠٦.

[١٤٩]- انظر الآلوسي، روح المعاني،ج:١٣،ص:٢٣٩.

[١٥٠] انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، المجلد:العاشر،ج:٢٦،ص:١٥٨

[١٥١] انظر الرازي، مفاتيح الغيب،ج:٢٨، ص:٧٥.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٩٢٦ - ٩٨٧ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

قصد الناكث على نفسه دون النبي -ﷺ-، وتعظيماً للضرر الحاصل له جرّاء النكث، فكأنما تسلط نكثه عليه فأحاط بنفسه وأهلكها، وكل ذلك على سبيل التحذير.

﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠]

وقد آثرت الآية كلمة نكث على نقض، مع أنّ النقض يُستعمل مع الغزل ، وهو مادي محسوس، كما قال تعالى ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا ﴾ [النحل: ٩٢] ، وفي ذلك استعارة ، حيث شُبّهت البيعة مع الله والرسول برباط متين دل على هذا التشبيه كلمة نكث[١٥٢]. وفي هذا دلالة على عاقبة النكث الوخيمة التي يتحملها الناكث.[١٥٣]

وتجدر الإشارة إلى استخدام حرف (س) في قوله تعالى ﴿فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ مع أنّ الأجر الموعودين به هو أجر الآخرة، ولكن استخدم (س) الدالة على الزمن القريب ترغيباً لهم في الوفاء، وكأنّهم بمجرد ما أوفوا فسيؤتيهم الله أجرهم، وتأكيداً لتحقق أجر الوفاء.

ويلحظ المغايرة بين صيغة جزاء النكث وجزاء الوفاء، وفي جزاء النكث أرجع الهلاك على النفس، وفي جزاء الوفاء لم يقل ومن أوفى فلنفسه، بل قال ﴿فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، وهو ما يدل على عظم فضل الله في الثواب، وأنّ العقاب يكون بقدر الذنب. وأما الثواب فيه زيادة وفضل من الله، وفي هذا دلالة بينة على حب الله لعباده وإحسانه إليه.

---

[١٥٢] انظر الحياني، أحمد فتحي رمضان ، الاستعارة في القران الكريم أنماطها ودلالاتها البلاغية دار المنهل، ص:١٠٢.

[١٥٣] انظر يونس ،محمد زنون، مشكلة زيادة المبنى ودلالتها على زيادة المعنى، دراسة تطبيقية على السين وسوف في القرآن الكريم ، جامعة الموصل كليه الآداب، قسم اللغة العربية.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٩٢٦ - ٩٨٧ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

الخاتمة

الحمد لله في البدء والختام حمداً تبلي به الذنوب، ولا تبلى معه القلوب. وقد وصل بنا هذا البحث إلى النتائج الآتية:

١- لا نجد آية في كتاب الله جاءت على هيئة الجملة الشرطية وترتّب أثراً على النفس ، جاء فيها أو في جوابها أثر سلبي دون الإيجابي.

٢- أكّدت جميع الآيات الواردة في البحث المسؤولية التامة في الاختيار بعد إقامة الحجج العقلية والكونية البينة، في مقابل التحمل التام للنتائج.

٣- غلب على هذه الجمل الشرطية المخصوصة في البحث نزولها في سور مكية مما يؤول إلى تعلقها بأصول الإيمان لا بفروعه .

٤- أكدت هذه الآيات على حاجة الإنسان الملحّة لإصلاح نفسه وسلوكياته التي يتأثر بها وحده ولا يتأثر بها هذا الدين القويم.

٥- الأثر الإيجابي العائد في النفس في جميع الآيات كان يجمع بين خيري الدنيا والأخرة

٦- ارتبطت كثير من الآثار الإيجابية في هذه الجمل الشرطية بالنفس ارتباطاً يراد به طمأنة الله لعباده بعدم ضياع الأجر والسعي؛ لما يتطلبه هذا السعي من بذل مالي وجسدي .

٧- جاءت هذه الجمل الشرطية على هيئة عبارات قصيرة تجري مجرى الأمثال لتكون قواعد عامة ينتفع بها الناس.

٨- غايرت الجمل الواردة في البحث بين أزمنة أفعال الشرط وجوابها -وهو خلاف الأصل- لنكت بلاغية تتعلق بالمعنى.

٩- التأكيد على فردية المسؤولية وعدم تحمل تبعات الآخرين في الضلال تثبيتاً للفئة المؤمنة في أوقات المحن.

١٠- نسبه أفعال الخير إلي النفس كانت في نفعها وفائدتها، لا في ذاتها وأصلها، فإنها في ذاتها فضل من الله، وفي نفعها ترجع إلى الإنسان.

١١- الآيات التي استقلت بجانب الخير للنفس دون الشر كانت تأتي آية قبلها أو بعدها تذكر أنّ الأمر خالص لله؛ تخليصاً للنفس من شوائب الأنانية التي تثيرها كلمة النفس.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٩٢٦ - ٩٨٧ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

١٢- الآيات التي ارتبطت جوابها بالأثر الإيجابي في النفس أتت في الأمور الشاقة عليها كالإنفاق والجهاد.

١٣- الآيات التي ارتبط جوابها بالأثر الإيجابي في النفس أوردت في نفس الآية أو في سياقها القريب اسم الغني للتأكيد على فقر الإنسان وحاجته في مقابل غنى الله المطلق

١٤- جاءت هذه الآيات على هيئة جمل شرطية لتؤكد صدق الوعد وصدق الجزاء ، فمن قام بحق الفعل نال جزاءه.

١٥- -جاءت هذه الآيات الكريمة مرتبطة بلفظ النفس لتوقد أشياء راكدة في النفس يراد إيقاظها وإزالة الحواجز الموهومة أمامها لتنطلق في عمل الدنيا الى جزاء الآخرة.

١٦- أنّ هذه الآيات في مجموعها جاءت لتربية النفس الإنسانية من خلال أساليب كثيرة ومنها أسماء الله الحسنى الواردة في تذييل الآيات ، حيث ظهر من دراسة دلالة هذه الأسماء على أنها تعالج منشأ الذنب في نفس الإنسان، وهذا يدل على علم الله المطلق بمداخل النفس الإنسانية، وأنّ الإنسان يحتاج إلى أن يعرف نفسه من خلال هذه الآيات.

وتوصي الدراسة بما يلي:

١- القيام بدراسات في الإعجاز النفسي لهذه الآيات لما ظهر من إشارات في هذا البحث تدلّ عليه.

٢- تطوير الدراسات البلاغية حول الجمل الشرطية في القرآن الكريم، إذ اكتفى معظم الباحثين بما قاله القدماء دون إضافة حقيقية .

٣- الاستفادة من هذه الدراسة في تطبيقات تربوية تخرج هذا البحث من الإطار النظري إلى الممارسة العملية.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٩٢٦ - ٩٨٧ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

الجمل الشرطية التي ارتبط جوابها بأثر يعود على النفس الإنسانية دراسة تحليلية قرآنية

ABSTRACT:

Prof:Jihad moh'd alnusairat.the university of Jordan.faculity of shari'ah.department of foundation of religion.

Dr : Reema moh'd bani domi.the university of Jordan.faculity of shari'ah.department of foundation of religion.

This research studied an issue related to the speech of the Qur'an and its Inimitability , by studying the connotation of conditional sentences whose response to the human selves has been associated whether in a positive or negative impact, by extrapolating these Qur'an verses wording and extrapolating the views of the Qur'an interpreters on this verses , then deriving the implications of this conjunction and its aims,In addition to know the secrets of this conjugation of conditional sentences with the human selves to extract it is admonition and divine guidance ,by highlighting the rhetorical and grammatical Inimitability in these conditional sentences, and the indications of these wordings on the meaning.

This quests research came in two chapters; the first chapter studied the conditional sentences whose response was related to a positive impact on the human self, it is divided to three quests; each quest explain one verse. Then the second chapter studied the conditional sentences which associated to human self which combined in its answer of both the positive and negative effects, this topic divided to seven

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٩٢٦ - ٩٨٧ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

المراجع والمصادر:

١- الأزهر، شوقي، افتتاحية للمؤتمر الدولي السنوي الخامس، الصراع والمقاومة، نحو فهم نقدي لمفهوم الجهاد والحرب،٢٠١٧م.

٢- الآلوسي، محمود الألوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الكتب العلمية،بيروت-لبنان،ط:٢، ٢٠٠٥م.

٣- البدخشي، مُحَمَّد بن الحسن البدخشي، وشرح البدخشي مناهج العقول ومعه شرح الآسيوي نهاية السول لجمال الدين الآسيوي كلاهما شرح منهاج الوصول في علم الأصول تأليف البيضاوي ٦٨٥ هـ، مطبعة مُحَمَّد علي.

٤- بزيو، أحمد، خصائص الأسلوب في سورة النمل، رسالة ماجستير ،إشراف الدكتور الأخضر ، جامعة الجزائر ،٢٠٠٧م.

٥- البقاعي، إبراهيم بن عمر ، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، مكتبة المعارف،الرياض،ط:١٩٨٧،١،

٦- البياتي، سناء حميد، قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم ، دار وائل ، لبنان ، ط:١.

٧- البيضاوي ،القاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن مُحَمَّد الشيرازي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، كلية الدعوة الإسلامية – طرابلس.

٨- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، مجموع الفتاوى ،تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، فصل في تفسير قوله تعالى ﴿ ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم﴾

٩- الجرادات، خلف، الترادف الدلالي بين صيغة افتعل وتفاعل، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها المجلد ٩ العدد أربعه ١٤٣٤هجري كانون أول ٢٠١٣ ميلادي

١٠- الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي القدير،ط:٣، ١٩٩١م، راسم للدعاية والإعلان.

١١- ابن جنّي، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: د. حسن هنداوي، صناعة الإعراب.

١٢- ابن الحاجب، جمال الدين أبو عمرو عثمان بن عمر، مجموعة الشافية في علمي التصريف، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٩٢٦ - ٩٨٧ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

١٣- حسن، عبّاس، النحو الوافي، دار المعارف،-مصر،ط:٣.

١٤- الحملاوي، أحمد بن مُحَمَّد بن أحمد، شذا العرف في فن الصرف،دار الكيان،

١٥- الحيالي ، معن توفيق دحام، المدح والذم في القرآن دراسة موضوعية، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٩٧١ م ط:١،

١٦- أبا حيان، مُحَمَّد بن يوسف، البحر المحيط ،تحقيق: عادل عبد الموجود ووعلي معوض وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.

١٧- الحياني، أحمد فتحي رمضان ، الاستعارة في القران الكريم أنماطها ودلالاتها البلاغية دار المنهل.

١٨- الخطّاف، حسن، استشعار المسؤولية في القرآن الكريم ، مجلة مقاربات، المجلس الإسلامي السوري ،العدد السادس.

١٩- بن خلاط - مهنية، آسيا- بزوح، نظام الارتباط في أسلوب الشرط وأفق الدلالة النحوية نماذج في القرآن الكريم، رسالة ماجستير ،جامعة عبد الرحمن ميرة، إشراف الدكتور أبو بكر زروقي،٢٠١٦م،

٢٠- الديلمي عدنان مهدي الإعجاز البلاغي في القصة القرآنية دار غيداء للنشر تلاع العلي ٢٠١٣ م، ط: ١ ، جامعة الموصل- العراق.

٢١- الرازي، فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر، مفاتيح الغيب،ط:١،دار الفكر،١٩٨١م.

٢٢- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن مُحَمَّد بن المفضل، معجم مفردات ألفاظ القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

٢٣- رضا، مُحَمَّد رشيد، تفسير القرآن العظيم، تعليق وتصحيح سمير مصطفى رباب، دار إحياء التراث العربي،بيروت-لبنان،ط:١، ٢٠٠٢م.

٢٤- الزركشي، الإمام بدر الدين أبو عبد الله مُحَمَّد بن بهادر ، البرهان في علوم القرآن، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

٢٥- الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، اعتنى به وخرج أحاديثه خليل مأمون شيحة ، دار المعرفة ،بيروت — لبنان ، طبعة ٢ ، ٢٠٠٥ م.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٩٢٦ - ٩٨٧ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

٢٦- السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي، رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، تحقيق د. مُحَمَّد عبد الرحمن مخيمر، دار الكتب العلمية،بيروت-لبنان،ط:١.

٢٧- الإسكافي، أبو عبد الله مُحَمَّد الخطيب، درة التنزيل وغره التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز.

٢٨- سليم، السيد إبراهيم، التوافق الزمني في الجمل الشرطية، بحث منشور في مجلة العلوم العربية، العدد:١٤٣٩،٤٩هـ.

٢٩- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن، ٢٠١٣م، ١٣٨٥ هجري.

٣٠- أبو السعود، مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مصطفى العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.

٣١- السلمي، مُحَمَّد بن الحسين ، حقائق التفسير، تحقيق: سيد عمران، ط:٢، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧.

٣٢- أبو سليمان، عبد الحميد أحمد ، أزمة العقل المسلم ،المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

٣٣- سيبوكر، إسماعيل الحاج عبد القادر، الالتفات في القرآن الكريم،ط:١،دار المعتز،الأردن-عمان،٢٠١٧م.

٣٤- السيوطي ،جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، لباب النقول في أسباب النزول، ضبطه وحققه: أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.

٣٥- الشعراوي، مُحَمَّد متولي، خواطر الشعراوي ،أخبار اليوم،١٩٩١م.

٣٦- الشمسان، إبراهيم، الجملة الشرطية عند العرب،ط:١، مطابع الجدوى القاهرة،١٩٨١م.

٣٧- الشوكاني، مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

٣٨- شيخو ، مُحَمَّد أمين تأويل القران الكريم، جمع وتحقيق عبد القادر يحيى الشهراني.

٣٩- الطبري، مُحَمَّد بن جرير، جامع البيان في تأويل آي القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

٤٠- طنطاوي، مُحَمَّد سيد، التفسير الوسيط، دار السعادة، المجلد الخامس.

٤١- ابن عادل، أبا حفص عمر بن علي الدمشقي الحنبلي،اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية،بيروت-لبنان،ط:١، ١٩٩٨م.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٩٢٦ - ٩٨٧ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

٤٢- ابن عاشور، مُحَمَّد الطاهر التحرير والتنوير، الدار التونسية،١٩٨٤م،ج:٢٠،

٤٣- عبد ،سعد بن خلف، إيثار حروف الجر بعضها على بعض في لغة القرآن، مجله جامعه الأنبار للعلوم الإسلامية.

٤٤- عضيمة ، مُحَمَّد عبد الخالق، دراسات لأسلوب القرآن الكريم قسم ٢ جزء ١ ، دار الحديث القاهرة.

٤٥- ابن عطية، القاضي أبو مُحَمَّد عبد الحق بن غالب ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي مُحَمَّد، دار الكتب العلمية،بيروت-لبنان،ط:١، ٢٠٠١م .

٤٦- عكاشة، محمود، الربط في اللفظ والمعنى تأصيل وتطبيق في ضوء علم اللغة، ط:١ ٢٠١٠ م، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي القاهرة،

٤٧- العلواني ،جابر، إصلاح الفكر الإسلامي بين القدرات والعقبات، المعهد العالمي للفكر الإسلامي سلسله إسلامية المعرفة الطبعة ١ ١٩٩١ ميلادي

٤٨- العمودي وليد مُحَمَّد العمودي سورة فاطر دراسة تحليليه وموضوعيه مقارنه رسالة ماجستير إشراف إبراهيم الكيلاني الجامعة الأردنية ١٩٨٧ م.

٤٩- عودة، أحمد، سمات اليهود في القرآن الكريم ، جمعية القرآن الكريم للتوجيه والإرشاد ،ط: ١، ٢٠١١.

٥٠- فراج، فؤاد عيد عوده ،الدلالات الزمنية للفعل الماضي في اللغة العربية وأهميتها في الترجمة، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك،١٩٨٨م.

٥١- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، دار الكتب العلمية،ط:٢،باب الزاي،(زكا،يزكو)،

٥٢- فرهود علي عبد الفتاح الحاج التعليق الشرطي في أفعال الكينونة المركبة في النص القرآني دراسة تحليلية، كلية الدراسات القرآنية، جامعة بابل، مجله كليه التربية الأساسية للعلوم التربوية، عدد ٢٨ اب ٢٠١٦

٥٣- فيصل، خوله محمود، المطاوعة وتأصيلها في العربية، جامعه تكريت، قسم اللغة العربية المجلد ١٩ العدد ١٠ تشرين أول ٢٠١٢ ميلادي، ص:١٢٤.

٥٤- القاسمي، مُحَمَّد جمال الدين، محاسن التأويل ، تحقيق مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، ط: ١٩٥٧،

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٩٢٦ - ٩٨٧ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

٥٥- القرطبي ،مُحَمَّد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، حقّقه: سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

٥٦- القنوجي ، أبو الطيب، مُحَمَّد صديق حسن ،فتح البيان مقاصد القرآن، دار الكتب العلمية، لبنان.

٥٧- القواقرة مُحَمَّد حسن الزمن الماضي في اللغة العربية دراسة لساني مجمع اللغة العربية عدد ٨٣ ٢٠١٢ ميلادي.

٥٨- القونوي، عصام الدين إسماعيل الحنفي، حاشيه القونوي على تفسير الإمام البيضاوي، دار الكتب العلمية، ٢٠٠١ م،.

٥٩- ابن قيّم الجوزية، الإمام شمس الدين مُحَمَّد بن أبي بكر ،إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، حققه وكتب هوامشه: مُحَمَّد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان،

٦٠- كشنة، عثمان مُحَمَّد كبير، الفعل الثلاثي المزيد بحرفين ودلالته في القرآن، دراسة صرفية إحصائية، مجلة العلوم الإنسانية، مركز أهل البيت لتحفيظ القرآن،مجلد:١٨، ٢٠١٧م.

٦١- مباركي ، عبد الله بن عبده أحمد ،الاعتراض في القرآن الكريم مواقعه ودلالاته في التفسير، رسالة ماجستير إشراف الدكتور عبد المولود بن مقبول، جامعة أم القرى، ١٤٢٨ هجري.

٦٢- مُحَمَّد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.

٦٣- المصري، حذيفة مجدي، الإساءة كما يصورها القرآن دراسة موضوعية، إشراف الدكتور إبراهيم عيسى صيدم ،رسالة ماجستير الجامعة الإسلامية، غزة، قسم التفسير ٢٠١٥ .

٦٤- ابن منظور، جمال الدين مُحَمَّد بن مكرم، لسان العرب، دار الفكر بيروت-لبنان.

٦٥- المهائمي، علاء الدين بن أحمد، تبصير الرحمن وتيسير المنان دار الكتب العلمية .

٦٦- أبا موسى، مُحَمَّد مُحَمَّد، من أسرار التعبير القرآني دراسة تحليلية لسورة الأحزاب، دار المنهل ٢٠١٢ م.

٦٧- الميداني ،عبد الرحمن حبنكة، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ، دار القلم-دمشق، ط : ١ ، ١٩٩٦م.

٦٨- د.نصيرات ،الميتا دكتور جهاد نصيرات ،دكتورة مروتي أليتا ، معاني الزيادة للفعل الثلاثي المزيد بحرفين تفعل في السياق القرآني،مجلة الميزان للدراسات الإسلامية والقانونية ،جامعة العلوم الإسلامية، العدد:٢ ، المجلد الخامس،حزيران،٢٠١٨م،

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ص ص ٩٢٦ - ٩٨٧ (ربيع أول ١٤٤٢هـ / نوفمبر ٢٠٢٠م)

٦٩- نصيف ، ياسين عبد الله، التقيد بالمفعولات في القرآن الكريم، سلسلة الرسائل والدراسات الجامعية دار الكتب العلمية.

٧٠- نوفل، د.أحمد إسماعيل إبراهيم ، تفسير سورة الإسراء دراسة تحليلية موضوعية،٢٠١٤، جمعية المحافظة على القرآن الكريم.

٧١- الهتاري، عبد الله ، تحولات الأفعال في السياق القرآني وأثرها البلاغي، مجله الدراسات الاجتماعية ،العدد ٢ يوليو ديسمبر ٢٠٠٦ ميلادي،

٧٢- هندي، تنوير أحمد، أساليب الحث على الصدقة في سورة البقرة -دراسة بلاغية- جامعة جازان، قسم اللغة العربية.

٧٣- الواحدي، أبا الحسن علي بن أحمد بن مُحَمَّد، التفسير البسيط، تحقيق: مُحَمَّد بن صالح بن عبد الله الفوزان، جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود ،١٤٣٠هـ

٧٤- يونس ،مُحَمَّد زنون، مشكلة زيادة المبنى ودلالتها على زيادة المعنى، دراسة تطبيقية على السين وسوف في القران الكريم ، جامعة الموصل كليه الآداب، قسم اللغة العربية.

المصادر الإلكترونية :

٧٥- جمعة، سعيد، غافر غفار غفور مقاماتها ودلالاتها في القران الكريم، جامعة الأزهر،تاريخ النشر:٢٧-١١-٢٠٠٣م، تاريخ زيارة الصفحة:٢١-٢-٢٠٢٠م. الموقع الإلكتروني:http//vb.tafsir.net

-